روايات عبير الجديدة

مارغريت روم

الغجري الأسمر

www.elromancia.com

رومانسية

٢٩

روايات عبير الجديدة

الغجري الاسمر

مارغريت روم

ذهبت فرنسيس الى الاندلس لكي تنهي الكتاب الذي كان والدها قد بدأ بكتابته ولم تسعفه الحياة لكي يكمله، وهكذا املت فرنسيس ان تطلب مساعدة الكونت الأسمر، سيد الارض الكونت رومانوس دي لوس ناماداس اي كويلا.

لكنه بالمقابل طلب شيء منها انه يحتاج الى معلمة، او لاحرى زوجة... حيث وجدت فرنسيس نفسها متزوجة منه... ولكن زوجها الجديد لا يحمل اي حب بتاتاً لكي يقدمه لها..

www.elibrary-books.com

الفصل الاول

كان الوقت غسقاً عندما اقلها التاكسي من المطار ووصل اخيراً الى فناء امام مباني بيضاء مؤثرة وبقرب باب سنديان قديم ذو حجم كبير. قصر روسية، سنيوريتا.

اشار بطريقة كسولة السائق الى المباني التي كانت تستعمل مأوى للصيد من قبل الارستقراطيين الاسبان والتي كانت الآن مصب اهتمام العلماء حيث عدد لا يحصى من الطيور كانت ترتاح خلال هجرتها من والى افريقيا.

«شكراً لك...».

قالت فرنسيس ذلك محاولة الخروج عندما لم تبدر اية اشارة من السائق لمساعدتها في الخروج بينما وجدته وهو يلعن شخص ما.. ربما هي.

جفلت فرنسيس بطريقة مسموعة بينما وجدت رجل يمشي تجاهها بسرعة، رجل غريب.... ووجدت السائق وقد نزل من السيارة لمساعدتها ولكن متأخراً.

«ارجوك لا تزعج نفسك، سينور».

تدخلت بضعف واضافت:

«لا حاجة ارجوك، أنني اتدبر امري بنفسي».

ضعف الغضب الاسباني وارتسمت على وجهه نظرات تعجب.

«أنت انكليزية».

بدا أنه سوف يعتذر ثم اصبحت ملامحه اكثر دكونة واضاف:

«الآف الاعتذارات سنيوريتا... الحقيقة أنك زائرة في بلدنا، هل لي ان اسألك لماذا تسافرين لهذه المسافة... هل تريدين زيارة بعض الأصدقاء، ام انك ضائعة ربما؟».

«لا هذا ولا ذاك».

اكدت له بصوت لاهث واضافت:

«لقد حجزت غرفة هنا في قصر روسيو، اسمي هو فرنسيس روس».

عندما زالت نظرة الاسباني المتعجبة! ضاقت عيناه بشدة، وشعرت بألفة تجاه سائق التاكسي.

«ربما من الافضل لي ان اقدم نفسي، انا» قال الرجل الثاني:

«برنادو ريبيرا، مدير قصر روسيو، وأنت تقولين بأن هنك غرفة محجوزة بأسم فرنسيس روس، عالم الطيور المشهور مؤلف العديد من الكتب. داخل غلاف كل كتاب هناك صورة للمؤلف عندي تظهره ذو ذقن، متقدم في السن

ورجل بكل معنى الكلمة».

لشهرين ماضيين، كان على فرنسيس ان تتحكم بعواطفها وتكبحها وكان عليها ان تضع على وجهها ابتسامات كاذبة لكي تقابل الاخرين رغم الالم الذي ارتسم في عينيها من جراء فقدها لوالدها.

«أنا فرنسيس وليس فرانس... ابنة الدكتور فرانس المتأخرة».

«المتأخرة...».

تردد المدير ريبيرا، وبدا مدهوشاً ولكي تتحمل منظره قالت بجدية:

«كان موت ابي مفاجئاً... نوبة قلبية. غير متوقعة ابداً، اعرف أنه كان هناك علاقة بينك وبينه، دكتور، لأنني أنا التي كنت اكتب له رسائله، واقوم بكل تدابير سفره، كان يريد زيارة قصر روسيو، لكي يلتقي بك شخصياً وكان متشوقاً لدراسة نوع جديد من الطيور في اوروبا والذي يعيش هنا في الاقليم... النسر الملكي الاسباني».

تمنت ان يلاحظ الرجل الدموع التي تجمعت في عينيها، وعندها سوف يدرك كم هي بحاجة الى غرفة لكي تخلو بنفسها. مدت فرنسيس يدها الى محفظتها واخرجت النقود وسلمتها للسائق قائلة:

«شكراً لك، اعتقد انك سوف تجد الحساب صحيحاً».

«لحظة».

شعرت فرنسيس أنه يريد ان يعبر لها عن تعاطفه معها لكي يساعدها في حمل الحقائب ولكن الدكتور ريبيرت

www.elromancia.com

نظر اليه نظرة احتقار ثم سلمه النقود واستدار لمواجهة الفتاة قائلاً:

«اهلاً بك في قصر روسيو، سنيوريتا».

ابتسم وهو يضع احد يديه بلطف تحت كوعها لكي يحثها على صعود الدرجات والتي تقود الى باب السنديان الكبير قائلاً:

«ما زال هناك الكثير لمناقشته، ولكن الايضاحات باستطاعتها الانتظار، والآن عليك ان تأخذي قسطاً من الراحة».

لم تكن قادرة على اكثر من ابتسامة امتنان، ولكنها بدت كافية ثم قادها الى حيث خادمة والتي حملت حقيبتها وهو يقول:

«نحن الاسبانيين ليس لدينا عادة تناول الطعام باكراً، سنيورينا. ولكن هذا المساء، وبسبب حضور ضيف عزيز فسوف نتناول طعامنا متأخرين، لأنه يعتبر عمل والدك ذو قيمة عالية، هذا النبيل اصر على اعادة ومراجعة جدول مواعيده من اجل ان يرحب شخصياً بوصول والدك الى الاندلس، لسوء الحظ».

هز كتفيه واضاف:

«كما كان يصر على البقاء على الاتصال الدائم معه، وسوف يكون من المستحيل ارسال رسالة لأعلامه بتغير الظروف. أنا اكيد».

حملت عيناه نظرة كلها امل وهو يضيف:

«ان حضورك سوف يخفف خيبة امل ضيفنا على طاولة

الطعام، اعرف أنك متعبة جداً، سنيوريتا، ولكن العشاء سوف يقدم الساعة العاشرة تقريباً، لذا اذا شعرت بأنك تودين مشاركتنا بعد ان ترتاحي، فأنا اكيد أنك سوف تجدين الكونت ممتن كثيراً».

ترددت فرنسيس، بدا أنه دهور قد مرت على مغادرتها المنزل، ساعات مملوءة، بالسفر في القطار والطائرة وبالانتظار في مطاري بريطانيا واسبانيا، والطيران... ولكن الدكتور ريبيرا اظهر احترامه، ولم يوجه لها سؤالاً واحداً، وكذلك... الكونت مهما يكون، يستحق الاعتبار ولو من اجل احترامه لاعمال والدها فقط.

«أنا يشرفني ان انضم اليكم على العشاء، دكتور».

قبلت ذلك بابتسامة شاحبة، وبدت عيناها تسرحان في بركة رمادية واضافت:

«اذا سمحت، ارجو منك واذا لم يكن هناك من ازعاج ان يوقظني احد ما حوالي الساعة التاسعة».

اغلقت الخادمة النوافذ وسحبت الستارة نحوها، ثم دخلوا الى غرفة نوم باردة، ثم فتحت احد الابواب لتشير الى حمام من الرخام، مرآة حوض واسع ومغسلة صغيرة جميلة.

ولكن فرنسيس ركزت عينيها على السرير ذو الوسائد المنخفضة.

«شكراً».

قالت ذلك بالاسبانية، ثم اغلقت الباب وراء الخادمة المبتسمة. خلعت حذائها وتسلقت نحو السرير لكي

www.elromancia.com

تستريح قليلاً قبل تغيير ملابسها.

ولكن لحظة استلقائها على السرير تسارعت احداث اليوم الى رأسها، الهدف من زيارتها الى الاندلس، وكذلك فقدانها السريع لوالدها.

كانت هي ووالدها متقاربين كثيراً، كانت مساعدته الاولى، وكان لوالدها معرفة في الالات الصناعية مثل معظمم الرجال... حتى افتتاح اعماله، ولذا عندما تركت آخر مدبرة منزل بيتهم، وكانت هي تتخرج من كلية تدريب المعلمين، ضحت بطموحها من اجله عندما احتج والدها على ذلك قائلاً:

«أنا لا املك الوقت ولا الصبر لخادمات البيوت، وكذلك ليس بأستطاعتي تحملهم في بيتي، وأنا اكيد أنه بأستطاعتك تدبر امرك، فرنسيس، أنني احتاج اليك معي».

وبطريقة ما، كتمت اعتراضها بأن حبها للتعليم كان يتبع حبها للاطفال، ولكنها علمت نفسها ان تقبل العيش مع والدها، بعيداً عن الاصدقاء في مثل عمرها وذلك بسبب اهمية عمله وحاجاته.

وخلال السنتين الاخيرتين بينما ازداد واجباتها من مدبرة منزل الى سكرتيرة، باحثة ومراجعة لما يكتبه وخاصة كتابه الاخير، لقد تألمت من شيء واحد فقط... ذلك القدر الذي حرمه من طموح حياته الطويلة لكي يدرس عادات احدى اندر الطيور العالم الطائر المسؤول والذي اخره عن اكمال كتابه لأنه كان قد قرر ان يضع موضوعاً عنه في الفصل الاخير من الكتاب.

وتذكرت وهي غافية وصف والدها للطائر اذ كان يقول:

«الطائر الملكي الاسباني هو متعجرف وحيد، مستبد رائع، حيث ممتلكاته يجب الاقتراب منها بحذر، ثائر فخور والذي يرفض ان يتبع امثالِ سليلته والتي تعشعش في الجبال المنيعة، ولكنه يظهر برهان على شجاعتها بحكمه فوق السهول، يبني عشه الضخم فوق اشوالك الحجارة وكأنه التحدي نفسه. وبثقه يتأكد الشخص من التعرف عليه وهو طائر بسبب الثلج الابيض المنتشر على اطراف اجنحته والتي تجعله قابلاً للطعن.

«سنيوريتا، انها التاسعة مساءاً، وقت النهوض».

صوت ثقيل متردد تدخل في احلامها مع صوت ضربات اجنحة.

«اذهبي بعيداً... اذهبي بعيداً...».

همهمت فرنسيس، ترمي يديها فوق رأسها لتضرب الهواء، ثم فجأة استيقظت، تفتح عينيها لتكتشف انها وحيدة في الغرفة ولكنها قالت:

«أوه، شكراً».

همهمت ذلك، ثم غرقت بين الوسائد، ولكن عندما عبرت الغرفة من اجل ان تفتح الستائر ليدخل الهواء، لاحظت احدى طائرات الهليكوبتر، اضواءها تلمع، الضجة التي ايقظتها من نومها لم تكن سوى دوران شفرة موتور تسبب تيار قوي يضرب اغصان اشجار الحديقة بجنون.

حدثت بنفسها بأنها كانت تشهد وصول الكونت، فرأت

فرنسيس ناحية الحمام ثم بعد حمام سريع بدأت تبحث عن ثوب لكي ترتديه.

كان ثوبها ابيض، ذو قصة بسيطة. ثم قيمت انعكاس صورتها في المرآة ثم استعانت بقطع اضافية لتجميله...

عقد الازرق اللامع، مع اقراط مماثلة وهم هدية من والدها وتذكرته يقول:

«لقد فكرت بك عندما رأيتها، يا عزيزتي فرنسيس، اللون هو ازرق، والذي عليك ان ترتديه غالباً، انه يضيف عمق بنفسجي الى العينان الرماديتان».

لمعت الدموع في عينا فرنسيس، التي تحركت بعيداً عن المرآة، وعرفت انها اصبحت في مظهر جيد الآن وأنها بسيطة، متواضعة، يدان رقيقتان، قدمان تبدوان وكأنهما في استعداد الدائم للركض من اجل الاخرين، طبيعة سهلة وكذلك وجه صغير، منقط، جلد شاحب ورأس مقوس ينتظر احداً لكي يرفعه ليواجه الشمس.

استجابت بدون خماس لضربة على الباب واجتاحتها موجة خوف عندما رأت الدكتور ريبيرا وبعد فتح الباب ينتظر على عتبة الباب بقلق.

«لقد وصل الكونت وهو ينتظر لكي يراك، سنيوريتا».

بدا صوته مرتبكاً وهو يضيف:

«اذا ما كنت جاهزة» قدم احد ذراعيه واضاف:

«فسوف اقودك اليه مباشرة».

لم تبدو الطريق اليه طويلة ابداً، درج واسع، صالون وعندما دخلوا، كان المكان يسيطر عليه وجود رجل واحد،

وكل شيء في الاثاث، بدا وكأنه في غاية الكمال والنظافة لاستقباله، اواني الزهور من الكريستال اللامع، كذلك الفضة، الوسائد تموج تحت اغطية بنفسجية ناعمة، بينما الرجل ذو الشأن العظيم ينتظر قدومهم دون اية انطباع، وكأنه احد الامراء يزور منزل احد المزارعين، ولكن التأثير بقي، بل حتى اصبح قوياً، عندما شعرت وكأنه لسعها بسوطه.

«لقد اخبرني روبرتو، بأنك وصلت الى هنا وفي نيتك التجول والاستكشاف، ذلك لا يمكن السماح بذلك، بالطبع غداً سوف ارافقك الى المطار واتدبر سفرك الى انكلترا في اول رحلة متوفرة».

استجابتها اللاهثة كانت مزيج من الاهانة والتعجب، حدقت به بعينان واسعتان وفمها مقوس وكأنها طفل بدافع عن لا شيء، سلالة من الرجال الارهابيين، المنسيطرين والذي بدا جانب وجهه وكأنه منحوت من خشب الساج، وعيناه اللتين تلمعان ببوردة قاسية فوق اعماقه الغامضة، وحيث شعره اسود عدا بعض الشعر الابيض على صدغيه وكأنها علامة مميزة... منيرة خاصة ذكرتها بما كان نصفه والدها عندما يتحدث عن النسر الملكي الاسباني. ونتف الثلج تنتشر على اطرف جناحية والتي تجعله قابلاً للطعن.

ولكن هذا الرجل لم يبدو أنه قابلاً للطعن حيث بدا أنه يتحكم منذ البداية. وكأن اشارات خطر لعصيان ترتسم على شفتيها، وهنا حاول الدكتور ريبيرا القيام بحركة مصالحة عندما تدخل قائلاً:

www.elromancia.com

«كم أنني مقصر عندما راح عن بالي ان اقوم بمهمة التقديم. . . ارجوكم اسمحوا لي ان اعرفكم ببعض».

الفصل الثاني

تقدم اكثر ينظر اليهم بعصبية وكأنه شفيع يحاول التوفيق بين متناقضين.

«كونت، لا بد أنك تعرف ان السنيوريتا فرنسيسي روس هي ابنة الدكتور روس الذي أنت معجب باعماله كثيراً، سنيوريتا. . .».

استدار نحوها بتباه واضاف:

«يشرفني ان اقدم لك الكونت رومانوس دل دوماداس اي اكويلا».

ولتظهر احترامها، اومأت فرنسيس ببطء وقالت:

«من الواضح ايها الكونت أنك تصدر اوامرك التي تطاع مباشرة وبشكل اعمى، مع أنني من سلالة معروفة بالعناد العظمة، ومع ذلك اذا كنت تريد الاهتمام بتقديم تفسير لما قلته فأنا اعد بأن اعطي ذلك اهتمام جدي؟».

عندما تأججت خياشيمها شعرت بأنها ارتعشت داخلياً،

www.elromancia.com

ولكنها بقيت واقفة، تخفي خشيتها وراء قناع الاهانة.

«أنا لا اضيع الوقت بالشرح والتفسير».

نظر اليها ببرودة شديدة واضاف:

«الاصدقاء لا يتوقعون ذلك، والاعداء بالكاد يستعلمونهم كعذر لجدالهم».

«اشعر أنه من حقي ان اعرف سبب طردي».

«الحقيقة أن الاسباب وراء قراري هي ليست سبب شخصي، ومع ذلك، لقد سمعت مرة الحقيقة التي تقول بأن والدك اصبح ارملاً بعد زواجه بوقت قصير وبأنه قام بتربيتك، طفلته الوحيدة، غير محفوظة، ربما لا يجب علينا ان نحكم عليه بقسوة. هنا في الاندلس، الاناث يأتي مهدهم من القبر، وهم محميات مثل شيء نادر، الازهار الهشة، اولاً من قبل الأباء والاخوة ثم لاحقاً الازواج والابناء، هذا الموقف الشهم تجاه الجنس الأخر لا يلقن منذ الولادة ولكنه يحتاج لقرون طويلة ليلقن من خلال شخصيات رجال الاندلس، ولذلك أنا... والدكتور ريبيرا ايضاً نشعر أنه من واجبنا لنؤكد لك أنك محمية من غباوتك، ان عشيرة نساءنا لا يساقون بدون حراسة من منزل الى آخر، لماذا سنيوريتا، تفترضين بأن الآف الطيور يختارون بانتظام هذا الاقليم كمكان للراحة خلال هجرتهم الفصلية؟ ذلك لأن المستنقعات هي براري وسهول، واحدة من المقاطعات القليلة الباقية ذات العزلة الفسيحة حيث تستطيع الطيور ان ترتاح، تتغذى، وتتوالد دون خوف من اعتداء بشري».

حدقت به دون ان تتكلم والغضب يتملكها، رغما من تحذيرها بأن الاندلس هي اسبانيا والتي بقيت وفية لحكم قبيلة المور، اقليم حيث النسوة تتدلل وراء المراوح والرجال يرتدون ويتصرفون مثل الدون جونز العظيم، وحيث مصارعة الثيران ورقص الفلامنغو ما زالوا التسلية المفضلة، بينما في كوستا دل سول خليج الشمس، نجد الاناث يأخذون حمام شمس وهم عراة تقريباً على الشواطىء تحت الشمس. وبدأت اشك بأن هناك شيء من الحقيقة في الاسطورة التي تتحدث عن فارس شريد يظلل نفسه تحت طاحونة الهواء. الكونت رومانوس دل دوماداس اي اكويلا نسبياً شاباً، بينما تصرفه كان تصرف رجل يعود الى عصور مضت، عصر عندما كان يتعلم الصبيان التصرف المهذب ويكبرون ليكونوا نبلاء كاملون، لطفاء دائماً مع النساء، وذو شأن مع غيرهم من الرجال، ويحترمون ويقدرون الاهل، والواضح ان وراء وجهه هناك صراع من الكبرياء والدم العاطفي...

وقالت فرنسيس بصدق:

«أنني آسفة ولكن علي ان اعترف، كونت بأنني وجدت تبريرك غير مقنع، ولا بد أنك تعرف بأن معظم فتيات جيلي سوف يعتبرون المعاملة للنسوة الاندلسيات قاسية؟ لعدة سنوات الآن معركة المساواة بين الجنسين ما زالت مستمرة، ونحن لا نستطيع القول ان كل اهدافنا تحققت، وربما سوف نصبح مثل الرجال تماماً، سنيور، نحن تحررنا من القيود التي فرضتها علينا التقاليد، احرار لكي نتبع

رغباتنا دون تدخل الرجال. انها ارادتي ان انهي آخر مخطوطة لوالدي، ولذلك يجب ان يسمح لي ان ادخل ارض واقاليم النسر الملكي الاسباني، اذا كان كل الرجال الاندلسيين ابطال مثلك فلماذا احتاج الى رقيب؟».

تحدته بكلماتها واضافت:

«حتى رجل مقاوم مثلك يجب ان يعترف بعدم جدوى توقع بأن اصبع واحد لنبيل اسباني قادر على احراز تقدم...».

«تقدم!».

تراجعت الى الخلف عندما ضرب الدون كفه بباطن يده الثانية بغضب وقال:

«فقط الاغبياء هم اللذين يريدون الاقناع وتقدم الخطوات هو فكرة حسنة! فلكل مئة خطوة يتقدم الرجل تتقدم المرأة خطوة واحدة، ان حياتنا المتوحشة تستحق علامة مئة وواحد، أنت اتيت الى الاندلس لتدرسي عادات طيور نادرة، اليس كذلك سنيوريتا؟ اخبريني، الم تتوقفي ابداً لتفكري بذلك، اذا كان الرجال ذو التفكير البعيد لا يقاومون تقدمهم فأنت لن تكوني الآن في اي موقع لتتوقعي زيارة الى اماكن النسور الملكية؟».

كان العشاء عملاً ضاغطاً، وكأنه اخيراً اصبح مدركاً للجهد الذي قام به الدكتور ريبيرا وخدمه ليرحبوا به، بقي الكونت صامتاً مع القاء ملاحظات قليلة عن العشاء شوربة باردة مع شرحات من الخيار والوجبة الرئيسية، عجة البيض مع البطاطا والبصل، رقيقة ذهبية اللون، وكذلك كان هناك

فاصولياء، سبانخ فطر بقدونس، فخد خنزير، سردين وقطع صغيرة من المقانق.

اعتذر الدكتور ريبيرا لها عندما احضر الطعام قائلاً:

«ان الاسبانيين يفضلون انهاء الوجبة بالفاكهة، سنيوريتا، ولكني اعرف انكم انتم الانكليز مولعون بفطائر الزبيب لذا سألت الطاهي ان يحضر لنا كاسترد، اتمنى ان يعجبك ذلك؟».

«أنه لذيذ».

همهمت آملة ان تلغي ابتسامتها حوارها مع الكونت اضافت:

«يبدو ان لديك منشأة جيدة دكتور» نظرت اليه بمودة واضافت:

«الغرف ما زالت جميلة، الاسرة مريحة، والوجبات... اذا ما كانت الوجبة التي تناولناها رائعة... في الحقيقة، لقد فوجئت عندما اكتشفت انني ضيفتك الوحيدة».

«لقد وصلنا الى نهاية الفصل، سنيوريتا. معظم ضيوفنا يصلون خلال الربيع والخريف، عندما تتكاثر الطيور، من الاقليم الحارة يأتي ممالك الحنين البنفسجي، الدناكل اللقلق، وآكل النمل، مثلما عندكم ابو الحن، دجاج الارض، الاوزة الرمادية في الدانمارك. خلال الفصول الرطبة ينتقل الضيوف، اما في هذا الوقت من السنة عندما تبدأ الشمس الدافئة نجد بأن للاحصنة افضل الامزجة لركوبها».

«الشكل الوحيد للنقل».

www.elromancia.com

صحح الكونت بصوت عميق، وشعرت فرنسيس بأن سؤال منحرف سوف يأخذ طريقه اليها.

«اخبريني سنيوريتا».

توقف لحظه ثم اضاف:

«هل أنت معتادة على قضاء عدة ساعات في الاسطبل».

«لقد امتطيت الاحصنة من قبل».

«في هذه الحالة...».

فكرت بأن شفتيه المشدودتين رسمت اكثر ابتسامة غرابة سبق ان رأتها بينما سمعته يضيف:

«بينما تظهرين أنك تحبين الخطر، فأنا بأستطاعتي ان اضع تحت تصرفك واحداً من خيولي العربية».

ارتفع قلبها الخائف الى حنجرتها وقبل ان تبحث عن اي عذر لتبرر اعتذارها وجدت الدكتور ريبيرا يحاول انقاذها.

«لا تقلقي سنيوريتا... من الواضح ان الكونت يتمتع بمزحة مرحة على حسابك ان تفضيله للاحصنة ذات التربية الجيدة والروح النارية معروف جيداً هنا، حتى أنني افكر مرتين قبل امتطاء احد احصنته ولكن على الاقل...».

تابع بدهاء:

«بأستطاعتك ان تعتبري عرض الكونت مثل قبول ضمني بحقك في البقاء في الاندلس لكي تتابعي ما لم يستطع والدك اكماله، الارض الاساسية لتربية السلالات الاصلية للنسر الملكي تدخل ضمن اراضيه، الموقع الصحيح يعرفه هو فقط والبعض القليل من خدمه، ولذا فأن نجاح

مهمتك يعتمد كلياً على ترحيب الكونت لكي يتصرف كدليل لك. بدون اذنه لا يجرؤ احد عبور ارضه».

كان على فرنسيس ان تستجمع كل ما تبقى لها من شجاعة لكي تتحمل كلماته، ان آخر شيء تريده هو البقاء في صحبة الكونت المتعجرف، والذي كانت تكرهه مع كل دقيقة تمر، ولكن الثمن كان انهاء افضل ما كتبه والدها من كتب. ايضاً، طموحه بأن يحتوي الكتاب فصلاً عن اندر الطيور في اوروبا.

لم يكن صعباً كما تصورت ان تبقي لهجتها فرحة عندما بدأ الكونت يدخل الى حياتها مثل محقق اسباني قاسي القلب.

«الاستفادة من اجحاد الكتابة افضل من اي شيء آخر».

«ربما».

وافقت رغماً عنها واضافت:

لقد كنت محظوظة كفاية لكي اجني منافع العالمين، أنا معلمة مؤهلة تماماً».

قالت ذلك بفخر واضافت:

«وعندما انتهي من كتاب والدي، انوي ان ابحث عن منصب ما».

شعرت بهدوء المفاجيء، ترى اصابعه تتصلب وبقيت الوزن فوق ثمر الجوز امامه وسمعته يقول:

«اذا أنت مولعة بالاطفال».

«جداً».

التقط الكونت شوكته واعادها الى صحنه، ثم فجأة

www.elromancia.com

ارتسم تعبير غريب على وجهه، بينما لم تستطع فرنسيس ان تلمح عيناه عندما سألها فجأة:

«هل تمانعين بأن تشرحي لي لماذا؟».

«أوه... لاسباب عديدة».

تلعثمت، واحست بأن صفحة عقلها اصبحت فارغة، ثم تذكرت الاوقات التي كانت تقضيها في مساعدة مدارس التمريض خلال عطل الصيف الممتعة التي اكتشفتها في مساعدة الاشخاص والافراد والناضجين والعجز وقررت ببساطة.

«افترض هذا بسبب تمتعهم في بساطة السعادة، صدقهم والافتقار التام للمكر، وخاصة...».

ابتسمت ونظرة حالمة في عينيها واضافت:

«كذلك بسبب الثقة الكاملة بالنفس التي يكتسبونها من معرفتهم بأنهم محبوبين».

«ولكن ماذا لو كانوا احياناً قذرين، مشاغبين وذو تصرف مريض؟».

«اليسوا هكذا دائماً؟».

كانت قادرة ان تضحك عالياً واضاف:

«ان احدى اعظم المتع في الطفولة ان تستكشف اعماق الاعماق، الخزائن القذرة، الرفقة الطفولية. ان ثوب ممزق يمكن ان يتحول الى فستان صالح سنيور، ولكن قلب الطفل عندما يجرح، يأخذ وقتاً طويلاً لمداواته».

عندما ابعد كرسيه بعيداً عن الطاولة، وبدا مثل البرج فوقها شعرت بأنها اهانته. وبخوف نظرت عالياً، عيناها

الرماديتان جاهزتين للتوسل. برناردو بدا ذو نظرة هادئة واضاف:

«ارجو ان تتدبر لنا احصنة وكمية من المؤونة لكي نحملها معنا عندما نرحل في الصباح سنيوريتا روس».

ثم استدار نحوها واذهلها بقوله:

«هل لي ان اقترح بأن تنسحبي الى غرفتك حالاً لكي ترتاحي، غداً امامك رحلة طويلة».

عوضاً عن الحقيقة التي تقول بأنها كانت غاضبة على نفسها لأنها قفزت لكي تلبي طلبه برشاقة، نامت فرنسيس بعمق، وقبل ان ينبئها الصباح بأن الكونت جاهزاً وينتظر. اخذت وقتها الليلة الماضية في ترتيب كتب ضخمة، محفظة من الاسفنج، بيجامات، ملابس داخلية، زوج من القمصان، جوارب وشاش، فقط في حال اذا اضطرت ان تقضي النهار بطوله وكذلك قسم من الليل، تنورة سوداء مصنوعة من الجرسيه دون الخوف عليها من التجعيد، وآخر شيء اضافته الى الاكوام كان كيس بلاستيكي ذو قسمين، يحتوي على كريم مطري، علبة صغيرة من المكياج احمر شفاه، مسكره وقنينة مانكيير، ابرة وخيط، مشط، صابونة وانبوب من كريم الشامبو.

بدأت مباشرة نزول السلالم، ورأت الكونت يعبر القاعة، ورأت حاجباه يرتفعان بقسوة.

«لا بد ان تكوني مسرورة وافطارك مكون من الكيك والقهوة».

قال ذلك وكأنه يعتذر عن الليلة الماضية واضاف:

www.elromancia.com

«لقد اصر بوناردو على طاقم المطبخ ان يكونوا جاهزين باكراً، ولكنني اكيد أنك توافقين أنه في هكذا ساعة فقط خدمات العرائس تكون ضرورية».

التقط الحزمة من بين اصابعها العصبية قائلاً:

«اعطني هذه، سوف ابدأ بتخزين حاجياتك في الخرج بينما أنت تتناولين فطورك، أنا تناولت افطاري منذ اكثر من ساعة».

كان الرجل يرتدي لباس فروسية رمادي، مع ياقة صممت لكي تحمي عنقه الاسمر من الشمس، وبدت مخيفة وبربرية اكثر من البدلة التي كان يرتديها البارحة اومأت فرنسيس، ثم خطت نحو غرفة الفطور قبل ان يجعلها ترتبك اكثر مما هي.

كان كل ما استطاعت ان تتناوله فنجان من القهوة، خرجت الى خارج القصر، ثم اطلقت زفرة ارتياح عندما رأت بدلاً من الحصان العربي المخيف والذي كانت تتوقعه رأت سائس يمسك زوج من الاحصنة الصغيرة القوية مجهزة بما يبدو بمقاعد مريحة، من وبر الخروف والتي شعرت أنها سوف تجدها مريحة.

وبدا ان الدون لم يجد صعوبة في وضع اشياءها في احدى الخرج الجلدية وكذلك كيس ماء. وشعرت بالرجل يقرأ افكارها عندما قال:

«ان الخيول العربية الاصيلة ليس لها من منافس في السرعة، سنيوريتا، ولكن هذه الاحصنة الصغيرة مثالية للسفر في الاراضي الوعرة أنها قوية جداً، ذات اقدام

اكيدة، لا بد أنك مندهشة من مقاعدهم المريحة».

صلت فرنسيس لأن ما حصل كان جيداً لها، وقبلت فرنسيس زمام الحصان وصعدت بسهولة حتى جلست على السرج.

«تقدمي، تقدمي امامك رحلة طويلة!».

ثبتت فرنسيس قبضتها على لجام الحصان، بينما وضعت قدميها باحكام حول وسط الحصان.

وللدقائق العشرة الاولى كان عليها ان تبقي تفكيرها محصوراً بمقعدها، محاولة ان تجعل جلستها اكثر راحة، وعندما اصبحت على وقع خطوات الحصان، شعرت بأنها قادرة على الاسترخاء وبدأت تهتم بما حولها.

ولحسن حظها كان الكونت يسير امامها، بعد ان قدم لها قبعة رمادية لتضعها فوق رأسها قائلاً:

«ضعيها، سوف تكونين مسرورة للحماية التي تؤمنها في نهاية اليوم».

لقد تولى القيادة، واعتنق الصمت وبدا منشغلاً بافكاره، ولذا مشت ببطء، تنظر الى العشب الاخضر، اراضي ممتدة تبدو جافة حتى بعد احدى الفيضانات والتي تؤمن اماكن لاعشاش الطيور والحيوانات الصغيرة.

ارتفعت روحها بينما اصبحت ممتنة للقيادة في هذا الجو الصباحي البارد، وعندما بدأت الشمس ترتفع عالياً في كبد السماء، بدأت تعي الجهد الذي عليها بذله... وجع في مؤخرة رأسها، تيبس في مفاصلها، وشعرت بقميصها وكأنه ملتصق بها.

وبعد مرور ساعتين، عندما شعرت بأن احتمالها وصل الى نهايته، استدار الكونت من على سرجه ليشير الى مجموعة من شجر البلوط والفسلين تنتشر في الافق «سوف نتوقف هناك للراحة لتناول شيء ما».

شعرت بتفرسه في جسدها المنهك، انتصبت في جلستها وحاولت نكران التعب الذي كانت تشعر به.

«جيد».

قالت ذلك وكانت تكذب وتضيف:

«جسدياً، اشعر أنني جيدة، ولكنني لن اقول لا للشراب».

كرهها له ازداد عندما نظرت اليه، وشعرت به يضحك بسرور لأن غشها لم ينطلي عليه، عضت على شفتيها وابقت نظرها فوق الافق الازرق، واملت ان تبقى مختبئه بعيداً عن عيناه اللتين تشبهان عينا النسر.

الفصل الثالث

وكما وعدها فقد كانت ممتنة للقبعة التي حمتها من الشمس الحارقة. وكان ارتياحها عظيماً عندما وصلوا اخيراً الى مكان استراحتهم الى درجة نسيت حاجتها الى الادعاء وانزلقت عن السرج، منهكة القوى، ولكن الكابوس الحي تعظم عندما جفل حصان الكونت، ربما من احدى المخلوقات الصغيرة التي مرت بقربه. ثم سمعت صوت طلق رصاص جعل الطيور المتنوعة تجفل هي ايضاً من الصوت.

وغريزياً كانت ردة فعل فرنسيس ان ترمي ذراعيها خلف رأسها مرتعبة من الحنق الواضح للطيور المتنوعة، حيث كانت اجنحتها تلطخ نظر فرنسيس ثم فجأة، ارتبكت مشاعرها باتجاه الخوف، التعب والحرارة، اختبرت مشاعرها وشعرت بنفسها ترفع خارج السرج.

«لا داعي لأن تخافي، سنيوريتا، في دقائق قليلة سوف

www.elromancia.com

تستقر الطيور في اماكنها وسوف تنسين وجودها بعد لحظات».

اصبحت نظرة الكونت حادة وضرب بأصبعه على خصرها قائلاً:

«اخبريني سنيوريتا روس، هل كنت صادقة عندما اجبت بأنك امرأة ذات خبرة في امتطاء الاحصنة؟».

لم تجرؤ ان تدفع عينيها الى اكثر من ازرار جاكتته واجابته:

«لم اقل بأنني خبيرة، بل ان كل ما قلته هو أنني امتطيت الحصان قبلاً».

«كم مرة، وكم كانت المدة؟».

بسرعة ذبل صوتها وكأنها وجدت ثقل قبعتها الرمادية من قرطبة لا يحتمل.

«مرة واحدة».

اعترفت بذلك في همس منخفض واضافت:

«ولدقائق معدودة».

«يا الهي».

خرج الكلام منه، وكأنه همهمة افعى تسير على اعشاب يابسة واضاف:

«ومع ذلك أنت تجرؤين لتحلمي ان تكوني معلمة، عندما يبدو واضحاً ان تفتقرين الى القليل من الزكاء الذي يظهره اليافعين».

«لقد اعتبرت دائماً ان التجربة هي افضل معلم... الحياة هي نجاح دروس يمكن ان تكون جذورها مرة ولكن

فاكهتها حلوة جداً».

كاد قلبها يتوقف عندما تجرأت ونظرت الى العينان اللتين تشتعلان بالنار، وجهز دليل على نظريته بذلك بأن بأطلاق يده لخصرها النحيل، عازلاً بهزة مختلفة من كتفيه.

«هناك قول شرقي قديم يقول بأن اسوأ اعداء الرجل لا يستطيع ان يتمنى له السوء الكبير اكثر مما يتمناه لنفسه، كل ما اسأله، سنيوريتا، هو أنك تمتنعين عن الشكوى عما يصيبك من تعب وجروح».

بدت فرنسيس وكأن احد الاشخاص قد قام بتأديبها، نزلت على البساط الذي فرشه الكونت على الارض وانتظرت حتى احضر من خرج سرجه رغيف مستدير.

ثم اخرج سكين لامعة، ورماها ناحيتها فقبلتها وفوجئت عندما اكتشفت خبز محمر ذو رائحة شهية، وكذلك دجاج بارد شهي.

وبينما جلست تمضغ طعامها بصمت، وترتشف الماء من كيس الماء، كان الدون يحل من شرائط سرجه كيس آخر.

كان يجلس واحد كتفيه يتكأ على جذع الشجرة، ورأسه ملقى الى الوراء، وفمه مفتوح لكي يشرب من احدى قناني الخمر، وعندما انتهت لحظات التوتر رفعت عينيها الى وجهه، ثم احمرت خجلاً من جراء نظرته الجذابة والتي بدت وكأنها تربكها من ان تنظر ثانية.

«هل تريدين بعض الخمرة؟» قدم لها القنينة.

«لا... شكراً لك أنني لست مولعة بها، أنا افضل ان

www.elromancia.com

اشرب الماء».

«او الحليب».

قررت بأنها لا تستطيع ان تغضب الرجل الذي يمتلك اراضي شاسعة والذي يحكمها بسلطته، وحاولت فرنسيس ان تبدو مثل صديقة له.

«مع أنني لا املك اية فكرة عن التغيير الذي جعلك توافق على ان تكوني دليلي الى اوكار النسور، ايها الكونت، ولكنني ممنونة أنك فعلت ذلك».

«اسباب متعددة غيرت قراري، واحداها ان اتمكن في ان اضيف كتاباً آخر الى مجموعتي الممتازة من الكتب التي كتبها والدك والتي هي بحوزتي».

كان صوته دافئاً وهو يتحدث عن احترامه لعمل والدها فقالت:

«انني اسفة لأنكما لم تلتقيا ابداً، انا اكيدة انك كنت احببته، لو أنك تدبرت ان تقترب منه اكثر».

«اشعر أنني اعرفه جيداً».

فاجأها بقوله واضاف:

«لأننا نتشارك في اعجاب متبادل لعمله، كان الدكتور ريبيرا لطيف كفاية... وبالطبع بأذن والدك... لكي يشاركني محتويات الرسائل، في الحقيقة الرسالة الاخيرة التي تلقيناها والتي تعلمنا بموعد وصوله تضمنت قبوله الدعوة لقضاء جزء من وقته في بيتي، قصر فلامنغو قصر النعام والذي هو قريب من اوكار النسور والذي كان متشوقاً ان يدرس عاداتها».

«قصر فلامنغو».

قالتها بترداد واضافت:

«لقد كنت ادرس لغتكم، في السنتين الماضيتين، ولكن ليس عند وصولي الى اسبانيا والتي وجدت بعض الثغرات في اللغة، هل صحيح ان ترجمة قصر فلامنغو هي قرية الغجر سنيور؟ اشعر بديهياً ان الاسم غير مناسب...».

«اعرف الكثير المستعدين للحلفان بأن فهم النساء هو معصوم».

قال ذلك بعبوس واضاف:

«والحقيقة الاكيدة التي تثبت أنك هنا معي الآن يجب ان تبرهن هكذا اعتقاد ضلالي».

تجاهل التنهيدة التي صدرت منها واضاف:

«لغة اسبانيا في المقابل مع لغة بلدك، لها كلمات عديدة تحمل معاني مختلفة ومنفصلة كما قلت أنت، فلامنغو يمكن ان تترجم لتعني رقص الغجر الاسبان، ولكن معناها الاختياري هو فلامنغو وهو كما تعرفين الاسم الذي يطلق على الطيور ذات السيقان الطويلة، في البحيرة في اراضي القصر نعام مئات من طيور الفلامنغو والتي تغطي سطح البحيرة، وهم يأتون الى المقاطعة من جراء الملوحة العالية في المياه والتي تناسب متطلباتهما مؤخراً، السكان بدا وكأنهم يتضاءلون».

«ربما».

غصت فرنسيس، ثم شدت على اللجام وشكت بدوافع الرجل الذي لا تثق به.

«أنا اشك في ان يعرف اي شخص بالتأكيد، ان هجرة طيور الفلامنغو لم تدرس بعمق، ما زال هناك الكثير من الغموض الذي يحيط بهذه الطيور، مع ان الذي تم تسجيله... اذا كان اسطورة فقط... هو الحقيقة بأن الفلامنغو كان يستعملون البحيرة كمكان للغذاء عندما اغار اول ملوك المور على الاندلس. اما من الاختيار او الحاجة. استقر هنا وبنى لنفسه قصراً، ونوي ان يملئه بالجواري الاسبانيات الشابات، مع أنه على عكس عادات المور، اتخذ واحدة فقط... ايزبيلا الجميلة والتي اصبحت عروسه فيما بعد».

«كم أنه من المريع، اجبار فتاة على الزواج من بربري».

ارتعشت وامتلأت عيناها بالعطف على العروس الجارية واضافت:

«اليس لديها عائلة، لا أب ولا اخوة ليحاربوا من اجل اطلاق سراحها؟».

«التملك هو التاسع عشر بالنسبة للقانون».

قال ذلك وهو يظلل عيناه لينظر الى الشمس ويضيف:

«ولكن كما ذكر التاريخ فأنها اعطت الحياة لستة اولاد وسيمي الطلعة، لا بد أنها كانت مذعنة لرغباته في وقت من الاوقات، لقد كانت هي التي اعطت القصر اسمه، ويقولون أنها عندما كانت تشعر بالوحدة كانت تشاهد طيور الفلامنغو التي تجعلها سعيدة وقانعة ثانية».

«آه، جيد».

رمق السماء بنظرة رضى وقال:

«ها قد جاءت الهليكوبتر، لا مزيد من الاسئلة في الوقت الحاضر، اذا كنت مسرورة سنيوريتا، واي شيء تريدين معرفته سوف تكتشفينه بمجرد ان نصل».

«نصل؟».

كان سؤالها صامتاً امام صوت الطائرة المدوي ولكنها قالت ثانية:

«الى اين؟».

«الى قصر الفلامنغو».

قال ذلك بجدية واضاف:

«حيث ستبقين لمدة غير محددة كضيفتي».

بالكاد بدا ذلك معقولاً، فكرت فرنسيس ببطء، كان هناك احتمال واحد لما قاله وفعله الكونت لقد اختطفت! ربما في انكلترا يعتبر هذا العمل مثل مزحة، اما هنا في الاندلس، اقليم منعزل، نادر الاشخاص حيث ما زالت العصور الماضية تظهر، حيث انجيل المور واوامرهم البربرية ما زالت تحكم الامتلاك هو في المرتبة التاسعة عشرة في القانون.

بذهول حدقت خارج النافذة حيث الارض تتراكض، بالكاد كان لديها الوقت لتتكلم او تعترض، بالحقيقة كانت مصدومة، فمها جافاً من الخوف.

«الدكتور ريبيرا سوف يرتعب اذا لم اعود واجمع باقي حاجياتي في وقت مقبول نسبياً».

رماها الكونت بنظرة نارية وقال:

«برناردو كان مسروراً ليحمل مسؤولية خيرك».

«أنت تعني أنه عارف، ويقدر عملك؟».

كانت فرنسيس تود ان ترد بأنها لا تتمتع برفقته، واستاءت من ذلك، مثل ايزابيلا الجميلة، ولكن غريزتها اخبرتها ان تمسك لسانها.

عندما ترك الكونت مكانه بقرب الطيار، وجلس في المقعد المجاور لها، وعندما لمس ذراعها وانحنى ناحية النافذة واتبعت تعليماته لتنظر الى اسفل.

«ذلك الخط الذي ترينه على طول الشاطىء يتضمن اكثر الشطآن اثارة في اسبانيا، اميال الرمال الناعمة الذهبية والتي تحاصر الجزيرة».

رفعت عنقها ورأت البحر الازرق المتلالىء يحيط الرمال في كل لحظة، بدون مظلات بحرية، وكذلك خلوه من القذارة والاجساد نصف العارية.

رمشت عيناها عندما دارت في السماء وبدأت تطير باتجاه جزيرة حيث الشمس تنشر نورها على امتداد الافق.

«حالاً، سوف نعبر ثانية قصر روسيو ثم سنبدأ الطيران تجاه جزيرة الصفوف العالية لسيرا نيفادا حيث، الوديان الخضراء الباردة، وسوف تتميزين بالتقاطك اول لمحة لقصر فلامنغو».

«مثل سجين يمنح امتياز رؤية زنزانته لأول مرة؟».

استدارت نحوه واضافت:

«مثل الجارية الشابة، ايزبيلا، حيث منحت امتياز السماح لها بالنظر الى القفص والذي عاشت فيه حياتها؟

ماذا تريد مني، سنيور؟ أنت تحكم الآلام العظام لكي تعرض مناعة الاقليم الذي تعيش فيه، العمل المستحيل يواجه اي مسجون يحاول الفرار، لذا ما هو السبب المحتمل لديك والذي يجعلك تختارني رهينة؟».

«هدئي نفسك، سنيوريتا!».

كان ملمس اصابعه على خصرها، مثل رشاش من المياه الباردة واضاف:

«حتى عندما يكون الجو باعث على... والذي هو هذه اللحظة غير ذلك... فأنا لا اقدم ايضاحات، ولم ابرر مدة اعمالي ولكن كما يظهر أنك مقتنعة بأنك سوف تجردين من عذريتك العزيزة، فسوف اريح عقلك، لا فأنت لست غنية».

رفع احد اصابعه عندما رأى بأنها سوف تعترض واضاف:

«وحتى قبيلة المور واجيال من الفاتحين الاسبان، وبالنسبة لتساؤلك الثاني فأنني اقول بأن من المحتمل التفكير بما يحمله سيد الاراضي من اهمية؟ وبالنسبة لتساؤلك الثالث...».

سمح لعينيه لتدرس التقوس الطفولي لوجهها، مع خط ناعم للعنق والكتفين، وشعرت بقلبها يضرب بشدة وسمعته يقول:

«بالمقارنة مع النساء الاندلسيات فأنه لا يمكن اعتبارك ذات جمال فتاك... ولا حتى لون عيناك يمكن اعتباره غير عادياً، الشعر الاشقر موروث من اسلاف المور».

سحب يدها بقسوة واضحة واضاف:

«ان قيمتك الوحيدة بالنسبة لي هي في كونك معلمة، ولذلك أنا سوف اقايضك، ان تبحثين عن مدخل لدخول اراضي النسر الملكي الاسباني، سنيوريتا روس... أنا احتاج الى معلمة تعطي دروس ابتدائية لأولادي».

وهكذا فان للكونت زوجة واولاد، فجأة شعرت بمدى المعنى الذي يحملهه كلامه، وعندما تركها ليأخذ مكانه بجانب السائق، غرقت في مقعدها وحاولت ان تبدد مشاعرها المرتبكة بأن تركز على المناظر الاندلسية التي كانوا يطيرون فوقها. كان الطيار يقود الطائرة بأرتفاع منخفض جعل الظلال ترتسم على الارض مثل وحش جبار، اميال من الرمال الصخور وخط من البحيرات ذات المياه العذبة واشجار البلوط والفلين، ثم اخيراً الاراضي الرئيسية، حيث قصر روسيو بدا وكأنه قريب جداً للمسه، قبل ان يزول اثره مثلما زال املها بالخلاص.

«خذي نظرة طويلة، سنيوريتا».

استدار الكونت في مقعده ليشير الى سرعتهم وقال:

«في غضون سنوات قليلة منذ الآن لن يصبح هناك اماكن في اسبانيا لراحة الطيور البرية».

«بالطبع لا؟ الست تحمل نظرة متشائمة، سنيور؟ ان حكومتك كما هي حكومتي، لا بد قد قاموا بخطط لحماية البيئة؟».

عبس، وشفاهه مطبقة.

«لا، الضغط السياسي يدافع ولا يناشد الاحساس

المشترك، لقد قاتل العديدون لأنقاذ الاراضي، ليس من اجل شعبها فقط، ولكن كذلك من اجل تأمين المتعة والتعليم لأجيال المستقبل مع ان رغم كل الاعتراضات، العرض اعتبر الآن لبناء طرق اوسع من اجل السياح على طول الشواطىء الى الشمال من هنا».

هز كتفيه واضاف:

«المتطورون يسعون الآن لبناء مجموعة من المسابح، والعصافير والحيوانات الاكيدة من الضياع في هذه الاماكن سوف يتم قتلها، وسوف يحمل الاشخاص الخطر الى الحياة البرية واللذين يدعون حب الطيور سوف يسرقون البيض النادر».

«ولكن بالطبع هناك شيء يمكن عمله لحماية البرية؟».

ردت فرنسيس وبدت مصعوقة واضافت:

«لماذا لا تحاولون تجنيد رجال البيئة، علماء الاحياء ذو الشأن الرفيع وعلماء الطيور، لأن... التأثير المتحد لرجال من جنسيات مختلفة سوف يأخذ مفعوله في عدم تدمير الحياة البرية».

«كل ذلك، واكثر منه، قد قمنا به... كل قطعة ذخيرة نمتلكها قد تم استعمالها خلال الحرب ضد المشروع، ومع ذلك لقد هزمنا، ليس بسبب سرعة حاجة الانسان، بل بسبب اتحاد الصمت وخمول مجتمع لا يهتم ومع ذلك فأنه لم تتم خسارة المعركة كلياً».

توقف قليلاً ثم اضاف بأسى:

«ما دام لدي السلطة في يدي لكي اؤكدها، فأنه سيبقى

هناك جزء صغير من اسبانيا غير مدنس... قطعة واحدة من البرية، اراض متوحشة سوف تبقى ملجأ للنسر الملكي الاسباني».

الفصل الرابع

حدقت فرنسيس في خلف الرأس الاسود الداكن حيث الشعيرات البيض تنتشر بأنتظام، وتساءلت ما اذا كانت تصميمه قوي في نفس الطريقة التي ينشر به النسر جناحيه ليبرز قوته، هل كان الكونت قريب جداً من الطير النادر ذلك بأنه ايضاً يؤمن بالشعائر القديمة للخرافات والتي تقول:

«كل عشرة سنوات يحلق النسر في الاقليم الناري وغطس من هناك في البحر حيث يكتسب حياة جديدة».

تنهدت فرنسيس، وقد اثارها موقفها بهكذا سحر، وبدلاً من سخريتها الذاتية كانت غير قادرةً على تخليص نفسها من الشعور في قربها من مخلوق ملكي وكأنه اتخذ شعار الملوكية، مخلوق رائع ذو غموض وجمال.

ترك الكونت نظرها في سلام بينما كانوا يطيرون فوق الوديان والسهول ذات الازهار الكثيرة، واحياناً تمتزج

www.elromancia.com

جميعها، بينما بعضها الآخر يتحد لكي يخلق انفجارات من الاصفر الاحمر البنفسجي، وزهري مشتعل في مواجهة الارض الحارة. وعلى جوانب التلال دوالي تقف في صفوف منتظمة وكذلك اشجار الزيتون تشكل احراش فضية وكذلك قطعان الثيران التي تنتشر قرب النهر وبينما هبطوا اكثر الى الارض والوديان، رمقت فرنسيس البيوت البيضاء حول الساحات والتي امتلأت بالزهور، مع نوافذ مزخرفة بنفس الحديد المصقول حيث النساء تنحني وهي تثرثر. تضع قماش حريري اسود وكأنها قبعات فوق رؤوسها العديد من الابنية المحببة، ذات احجار منحوته، عبروا تحت ظلالهم شرقاً، يغزون خصوصية الفناء حيث النوافذ الباردة تتهامس، وتثير المزيد من الاثارة ضمن العمال اللذين وقفوا يتثائبون وينظرون الى الآلة الطائرة التي ازعجت السلام الذي يكتنفهم بينما كانوا يقومون بري اشجار الليمون، الزيتون الموز، واشجار الكمثرى.

ولكن بعد قليل ظهر امامهم صف هائل من الجبال المكللة بالثلوج وبعدها بدا لفرنسيس من مسافة بعيدة مبنى يشبه حصن منيع ذات جدران رمادية باهته... قصر يعود الى عهد المور بناه احد الغزاة العرب.

«اهلاً بك في قصر فلامنغو، سنيوريتا روس».

عندما استدار الكونت هنا في الاندلس رأت فرنسيس وجهه الصارم، العابس واضاف:

«البعض يقولون أنه بالعيش هنا في الاندلس يعني وكأن الانسان يولد ثانية وببطء احياناً وكغريب غير معروف كلياً،

ومختلف عن هكذا حياة».

حدقت بثبات بينما اقتربوا من مبنى الحصين في قلب الطبيعة نفسها، حيث الصخور واشجار وثلوج جبال سيرا نيفادا، وقممها ما زالت تحمل بقايا ثلوج. بالبساتين، حيث الاشجار تحمل ثقل ثمرها وشرفات طبيعية تحمل الدوالي التي افترشت الارض وبدت ناضجة تماماً.

وكان هناك جدران تسيج اراضي قصر فلامنغو حيث بدأت الطائرة تهبط مثل نسر يعود الى عشه حيث بدأت فرنسيس ترتاح كان عالماً داخل العالم مكان حيث السلام ينتشر حدائق ذات روائح زكية، مروج منسقة، ممرات تتعرج باشكال مختلفة، دوالي ذات اوراق صغيرة، ونوافذ مستديرة ذات حجارة كبيرة تحتوي على اسماك ذهبية تدور تحت مظلات من اوراق الشجر التي انتشرت على سطح الماء، وعندما اوقف الطيار المحرك، شعرت فرنسيس بأنه قطع كل رابط مع القرن العشرين.

«كما ترينه سنيوريتا روس، قصر يعود الى عصور مضت».

وجهها الكونت الى ممر وتمنى منها ان تتبعه حيث اضاف:

«ان مؤخرة القصر ليست ذات تصميم مغربي مثل الواجهة الامامية والتي حاولنا الحفاظ على طابعها الاصلي والذي بناها اول افراد عائلتنا في القرن الحادي عشر، ولكن مع مرور السنوات ادخلت عليه بعض التغييرات للراحة».

كانت فرنسيس مدركة ليده تقودها من كوعها اسرعت فرنسيس خطاها حتى وصل بها الى بركة سباحة محاطة بزنار من القرميد حيث ابعدت عينيها لتحميها من لمعان المياه العذبة.

«المایاس، او الشرفات المغطاة، هي مغربية اصيلة، كما الرخام الابيض على الارض، المداخل المقوسة وزينة الحدائق».

وبحركة من يده اشار الى حبرة مغربية ضخمة الى درجة ان فرنسيس اضطرت الى ان ترفع رأسها لترى مدى طولها.

«ومع ذلك، فأن الاجيال الناضجة من العرائس الاندلسيات اصروا على تهذيب الابناء، كما احترام البنات في اسبانيا، ايزبيلا، العروس الشابة الاولى تم اختطافها لكي تثور ضد تقلبات زوجها، بأخذه جماجم اعداءه وتزيينها بالجواهر واستعمالها فيما بعد كؤوس شراب».

اخبرها بلطف واضاف:

«بدون شك استاءت من بقايا رجال المدن المهزومين، وقررت توظيف خدعها النسائية لتهديه الى اعمال اكثر صوابية».

«وهل نجحت؟».

«حتى القمة».

اوماً وشفتاه مطبقتان ثم اضاف:

«لقد امر المور بأبعاد الجواهر عن الجماجم ثم...».

وعند ذلك استداروا نحو القصر حيث لهثت فرنسيس من جراء اتحاد الاهانة من افتقار الامير للحساسية والتي حملت

حقده عبر الازمان، وعلى رغم قرون المحافظة الضرورية على الحجارة الضخمة ومتعددة، بمهارة، حيث نوافذ مقدسة ضيقة نقش عليها رسوم متعددة، هلال، نجوم واصداف بحرية وكذلك نثر الياسمين عبيره في ارجاءها حتى وصول الى جدران حجرية حمراء شاحبة.

وكان هناك باب ضخم يخفي وراءه الجروح التي انحنت بواسطة سيوف ورماح الاعداء، وكان هناك خطوات ضئيلة الظهور على الحدين، تماثيل مرتكزة للالهة المصريين في الاساطير، اعضاء عائلة اوسيرس، أله النيل والذي كان مرافقاً للحروب.

اصبح نظر فرنسيس مركزاً على جانب الوجوه والتي بدت مألوفه... بعضها رسم بواسطة ريشة نسر حادة، وبعضها الأخر بواسطة مدكة، وبعضهم كان يضع تاس فاردس ولكن جميعهم، دون استثناء، يلوحون بمدقات الحنطة والصولجان الذي يستعمل للاشارة الى القوة الخالدة.

بقيت فرنسيس ساكنة، مصعوقة من هذا الجمال، وحلقها جاف، منظر خلاب لا تستطيع القصص الخرافية ان تصوره.

«ما الخبر، سنيوريتا أنك تبدين شاحبة تماماً؟».

لو تكلم احد اسلافه لما كانت ارتعشت بهذه الدرجة ولكنها قالت:

«ماذا؟».

ادركت نفسها ثم اضافت:

«أوه، لا شيء، سنيور».

بلعت ريقها، تريح كوعها من ملمسه واضافت:

«أنني اشعر فقط أنني مغمورة بكل... هذه الروعة».

حاولت ان تطوق الجدران بيديها واضافت:

«أنها تبدو خرافية تماماً لأصدقها. أنها مثل خرافة ليلة عربية، او فيلم».

«احياناً، سنيوريتا اتساءل كيف ان جنسك حقق سمعته في الدبلوماسية... مع ان تركيبة القصر الحقيقية ربما تكون ضائعة تحت غبار الزمن، فأنا لم اتصور حتى هذه اللحظة، بأن الاجيال الناجحة لعائلتي قد تدبرت اصلاح وارجاع القصر الى مجده الغابر. او اكتشفته من الاساس، سنيوريتا، أنا اضمن لك بأن اجدادي قد حاولوا اكتشافه، وأنا يسرني ان اخبرك بأن القصر يدين ببقاءه الى خشب الفلين والتي انقذته من السفن الحربية الانكليزية!».

الاعتذار الذي وصل الى شفتيها، ظهر بتنهيدة مفاجأة عندما فتح الباب الضخم وظهرت امرأة عجوز، ذات ظهر منحني وجلد متجعد وقد اسرعت ناحية عتبة الباب.

«الحمد لله على السلامة، روماني راي».

قالت كلماتها وكأنها تصرخ مرحبة به، متمنية رمي ذراعيها حول عنقه الاسمر.

«شكراً، سابيليتا».

رد على تمنيات المرأة العجوز بلهجة رقيقة.

جفلت فرنسيس من جراء العينان السوداوين وهما تحاولان سبر اغوارها، متساءلة عن مركز هذه الزائرة في

قصر الكونت، وكانت المرأة العجوز ترتدي ثوب اسود، ورمت على كتفيها شال صغير، ذو حياكة سميكة ومنقط بنقاط حمراء شعر لامع، اقراط ذهبية.

«اهلاً وسهلاً... كافالي...».

فهمت فرنسيس نصف كلام المرأة وقالت بالاسبانية:

«كافالي... ولكن تلك الكلمة يبدو انها مفقودة في قاموسي».

«ليس لآل رومانوس قاموس مكتوب، سنيوريتا».

قاطعها الكونت بتهجم واضاف:

«ان سابيليتا ترحب بك في الاسبانية ولكنها قالت لك بالاسم فتاة، او الفتاة الطفلة بالاسبانية. لقد اصبحت سابيليتا مربية في اليوم الذي ولدت فيه. ولبعض السنوات، عندما كنت أنا غائباً عن القصر في المدرسة ولاحقاً الجامعة، رجعت الى قبيلتها، ولكن يبدو انها امتلكت غريزة تجعلها تدرك اذا ما كانت محتاجة من شخص ما، ولذلك دون ان تعطيني الوقت ظهرت على عتبة القصر في اليوم الذي يقل فيه عدد الخدم. أنا ادين لها بعرفان الجميل، ليس فقط لولائها، ولكن كذلك لبقاءها في مكان واحد وذلك مما يعارض معتقداتها».

بدت سابيليتا مسرورة وكأنها فتاة شاحبة تلقت مديحاً من انسان تحبه.

«نحن آل رومانوس نجدّ نداء الادغال لا يقاوم».

اكدت ذلك واضافت:

«معظمنا غير قادر على المدنية، لكي يقاوم دافع داخلي

www.elromancia.com

ليتحرك ويتحرك، ولكن يمكننا ان نكون سعداء في ما يحيط بنا من املاك. وكما يسموننا متشردين فنحن لا نسافر ابداً دون ان نصطحب ما نملكه معنا. يجب ان تكون متيقظ، روماني راي بأنني معروفة أنني امتلك هدية ثانية، وهي بأن الآلهة اعطتني القدرة على معرفة حوادث المستقبل وما تحمله الايام، ان الهدية هذه قدمت الى العديدين، ولكن المتعلمين يرفضون ان يؤمنوا بخرافات كاذبة» قالت فرنسيس.

لامها الكونت بحدة قائلاً:

«التي تسبب المذنب للشعلة والنجوم لكي تسقط قد تمت مناقشتها من قبل العلماء لأقناع اكثرية الاشخاص، وكذلك بأن كلام عن شؤم الشيطان هو خرافة بلا احساس».

شعرت فرنسيس بأنها جرحت اعماق سابيليتا عندما رأت ملامح المرأة وقد تغيرت، وبطولة روح المرأة الشجاعة انعكست في ملامحها الارادية في احتجاج الكونت ولكن سابيليتا فكرت بأنها هي الوحيدة الاكثر حاجة للراحة.

«لا تشوشي قلبك الرقيق على حسابي، كافالي».

قالت سابيليتا ذلك ثم اضافت:

«قريباً سوف تثبتين نبوئتي، قريباً... عندما تفرح عائلتنا في زفاف بوري راني».

خرجت فرنسيس من سريرها وبدأت تمشي على طول الممر الذي يقود الى السلالم ان القليل الذي شاهدته في داخل القصر يجعلها تحبس انفاسها من روعته، لقد احبت

غرفة نومها ذات اللونين الابيض والذهبي، ورحابة القاعات، ألفة الصالونات الصغيرة، وراحة الاثاث الفاخر كذلك فناء القصر حيث الحدائق تتفجر في الوان مختلفة.

كان قصراً مبنياً للهرب الهرب من حرارة شمس الربيع والتي لم تعتاد فرنسيس عليها، الهرب من ضجة الحضارة وكذلك، في الهرب من الكونت المتغطرس، شكت فرنسيس. في الهرب من عالم تعتبر كل كلمة فيه بمثابة قانون، حيث يحكم بقوة مطلقة، اذا ما كانت سابيليتا مثلاً جيداً، حيث تحمل له ولاءاً كاملاً. واية محاولة مع السيد الاراضي سوف تكون مضيعة للوقت، ولذلك قررت بأن كل المناقشات حول مستقبلها سوف تكون بينها وبين زوجته، الكونتيسة، اكدت لنفسها، بينما كانت تأخذ طريقها خلال القاعة، تكره ان تضع قدميها على الرخام الذي واكب حياة الرجل منذ الولادة، الطفولة الشباب واخيراً الهرم. ان اكمال كتاب والدها يستحق منها التضحية، والذي يعني أنها ربما لا توافق على البقاء في الاندلس فترة محددة.

قفزت برعب عندما ظهر خادم ذو خطوات ناعمة من الظلام، يحمل شمعة مضاءه في يده، ارعبتها صورته تحت ضوء الشمعة حتى كادت ان تصرخ ولكنها تحكمت بنفسها قائلة:

«هل تمانع بأن ترشدني الى صالون العشاء حيث اعتقد ان الكونت ينتظرني».

مشت ناحية حيث وجدته وقد اسرع امامها ليفتح احد

الابواب المزدوجة الطويلة، ثم حدق داخل الصالون الذي بدا واسعاً مثل احدى الملاهي، وكان هناك قناطر اسلامية تمثل مداخل الى غرف الرسم والعديد من الصالونات الاخرى وكان هناك طاولة طويلة تحتل قاعة الطعام تحت احدى ثريات الكريستال، ومرآتها تعكس صحن كريستال يحمل الفاكهة حتى الثمالة، شمعدان فضي، اكواب من الزجاج الفاخر، ادوات تقطيع تحمل على رؤوسها شعار الكونت دل نوماداس اي اكويلا، ووجدت فرنسيس ادوات طعام لشخصين.

«مساء الخير، سنيوريتا، لقد وجدت غرفتك كما تشتهين، كما اعتقد؟».

وبذهول دارت حول نفسها تفتش عن صاحب الصوت ووجدت الكونت مرتاح ومسترخي في جاكيت بيضاء، وقميص ملون. والماس يلمع في اكمام قميصه، عندما رفع معصمه ليرى الوقت من ساعته الذهبية الخالصة.

«من الواضح ان المحافظة على الوقت هي من احدى فضائلك».

قال ذلك دون ان يسمح لابتسامة بأن تأخذ طريقها الى شفتيه واضاف:

«هل تفضلين الجلوس قليلاً، ام تفضلين ان انادي على الخدم لتقديم الطعام حالاً».

«أنني آسفة، ايها الكونت... أنا ربما لا ارتدي ما يناسب العشاء، ربما».

قالت ذلك وهي تنظر الى بلوزتها العادية واضافت:

«كان بأستطاعتي ان اتناول شيء في غرفتي».

«كلام فارغ».

قال ذلك، محاولاً عدم الاعتذار على الرغم من جديته واضاف:

«اجلسي، ارجوك سنيوريتا، لا بد ان شهيتك مفتوحة مثلي تماماً».

تقدمت الى الغرفة ثم ترددت قائلة:

«استطيع ان اتفهم سبب تغيب اولادك في هذه الساعة المتأخرة، كونت ولكن ماذا عن زوجتك؟ بالطبع سوف تنضم الينا الكونتيسة؟».

«اسئلة، اسئلة، وما زال غيرها الكثير!».

قال ذلك مظهراً مضايقته مما اعتبره تدخلاً في شؤونه واضاف:

«ان الوجبة الجيدة ينبغي ان لا تفسد بمحادثات سطحية، اجلسي، اذا سمحت سنيوريتا روس».

سحب الكرسي الى الوراء من يمينه على رأس الطاولة واضاف:

«سوف آخذ على عاتقي واجب علاج التوصية بأن ابرهن لك بأن الشخص الواحد قادر على التفكير افضل، ينام افضل حتى يحب افضل بعد عشاء دسماً».

كان هناك القليل لتكسب من المناقشات، انزلقت على المقعد الذي اشار اليه، وهي تعد نفسها بأنها تنهي الامسية دون ان تعرف ما هو مركزها وحدودها في هذا القصر.

قدمت الوجبة بأناقة في غرفة التطعام ذات الجدران

www.elromancia.com

المنقوشة بنقوش اسلامية في مواجهة بلاط القصر الرخامي. وبعد المقبلات اتى وقت الطعام بدواً بفطيرة حلوة مصنوعة من السكر والهندباء كذلك كان هناك لحم حمام، مطبوخ بسرعة.

الفصل الخامس

شرب الكونت الخمرة بينما كان يتناول طعامه، ولكن فرنسيس شربت كوب شراب واكلت صحن زبيب ولوز مطبوخ بطريقة ممتازة ومع الوقت انتهت الوجبة المترفة، وشعرت فرنسيس بأنها بتخمة وكانت تشرب عندما قال لها الكونت:

«دعينا ننتقل الى غرفة الرسم، حيث سأكون اكثر راحة، هل استطيع ان احضر لك مرطباً قهوة او ربما فنجان شاي؟».

هزت فرنسيس رأسها وقالت بتنهيدة خفيفة:

«سوف انهي حليبي اذا كنت لا تمانع».

وعندما وصلت لتلتقط كوبها قال بحدة:

«ارجوك لا، سوف يتم احضاره لك في غرفة الرسم».

«أوه، ولكن...».

تحركت ناحية الباب المقوس الى الغرفة حيث اضواء

www.elromancia.com

ناعمة ترمي بنورها فوق سجادة محبوكة بمهارة، وجلست على كنبة وشعرت بأنها منجذبة الى الوسائد ذات اللون الخمري، والستائر التي تغطي النوافذ من السقف وحتى الارض.

عندما وضع لها الخادم كوب الحليب وللكونت كأس براندي، انسحب بصمت، يتركها وحدها مع سيده، والذي غرق في افكاره، ليلتقط رأس سيجارة، وبدت الشعيرات البيضاء الامعة بارزة وكأنها ومضة ضوء تلعب على رأسه. راقبته فرنسيس عن قرب، مسحورة بالتقاطيع الحادة لطرف وجهه، ولجسده الذي بدا ضوء السيجار بارزاً، ثم وكأنه تذكر وجودها.

«استسمحك عذراً، سنيوريتا، هل لي ان استأذنك بأن ادخن؟».

كان السؤال رسمياً لا اكثر، بالطبع لقد اعتبر الكونت نفسه أنه يمتلك الحق الالهي لكي يتحكم بالاشخاص.

«ارجوك، تفضل».

كانت ابتسامتها باهتة وهي تضيف:

«انني احب رائحة التبغ، وبصراحة افتقد كثيراً رائحة غليون أبي».

«شكراً».

اشعل الكونت احاسيسها عندما اختار ان يجلس قريباً منها حيث كانت طاولة صغيرة تفصل بينهما. كانت فرنسيس تتجنب التعرض لسحره والتي احست غريزياً أنه يمكن ان يكون قاتلاً، وصلت الى كوب الحليب.

ولسوء الحظ، قربه الهادىء منها، جعل يدها ترتعش. مما سكب محتويات كوبها فوق بنطلون الكونت الكامل.

«أوه».

ارتفعت يدها وكأنها ارتكبت جريمة ما واضافت:

«أنني آسفة جداً، أنني عادة لا اكون خرقاء».

«لا، أنت لست عادة خرقاء سنيوريتا».

وافق على كلامها ثم اضاف:

«بل على العكس، أنك نموذجية بالنسبة الى جنسك باردة مثل الشراب الذي تفضلينه، اتركيه!».

عندما قاومت ولكنها سمعته يضيف:

«ان الضرر الذي حدث يمكن معالجته بسهولة، اعذريني للحظات، اذا سمحت».

عندما توقف على قدميه، وحرك يدها، عاد لون يدها الى طبيعته واضاف:

«سوف اعود بعد قليل».

عندما ترك الغرفة، جلست يائسة، ولكن منذ ان وضعت قدمها في القصر ارتبكت، لم يحدث في حياتها ابداً ان اختبرت جو مليء بالترف. الدورادو الثروة يحكمها رجل يبدو قادراً على تذوق طعم المتع النارية، ويظهر أنه لا يستعين بأمر لارشاده، ومع الحب، تجاه متع البسيطة.

كانت تتجمل في عدم ظهور زوجته، الكونتيسة المراوغة، وعندما استرعت انتباهها حركة ما، شدت انتباهها الى الصورة تقف بصمت والذراعين مضمومتين على صدره. التقطت انفاسها، تتساءل للحظات ما اذا كانت في

www.elromancia.com

حضور شبح امير ما. . . شبح مور حيث قلبه امتلأ بالحب لأيزبيلا والذي اساء الى العادات والتقاليد بتزويجه لجارية ووضعها في مركز اميرة.

الصورة الطويلة، تمايلت في الظل وراء الضوء المنبعث من احد الاضواء في زوايا الغرفة، ويبدو مرتدياً ثوباً حتى رسغه مفضل من قبل ابناء الصحراء والذين يبحثون عن مأوى لحرارة النهار. ولكن عندما تحركت الصورة الى الامام تجاه الضوء لاحظت فرنسيس بأنه لم يكن روباً عادياً ولكن ثوب مخصص لأحد الامراء مع ياقة مزخرفة، ومشبك صمم ليناسب الاظافر الذهبية.

«لا داعي لأن تظهري مرتعبة، سنيوريتا كما سيؤكد اي رحال عربي، هو رداء مريح وعملي وخاصة للامسيات».

ارتعشت من صدمة سماع صوت الكونت المثقف ينسل من الصورة التي اعتقدت انها لا تخرج من مكان يقود الى موكب محاربين مع بيارق تطير، يسحبها عرب اصلاء، وبخطوات رجل المور الواسعة بدا وكأنه ينزلق ليراقب عينيها الخائفتين.

تراجعت الى الخلف. ثم شعرت بالغباء عندما وبخها بجفاف.

«يا للافكار الفاضحة التي تغلي وراء لياقتك المحافظة. . . اريحي عقلك، الليلة لا يطوف الوحش في المكان».

«أنني مسرورة لسماع ذلك، صدقني سنيور، لما كنت وجدتني هكذا لو لم يكن لدي شك بأنك تخفي امرأة

وعائلة في مكان ما، كم طفل لديك سنيور، وهل هم ابناء ام بنات، ام الاثنين معاً؟».

عاد الى مقعده على الكنبة قريباً منها ووصل الى كأسه وارتشف نصف محتوياته قبل ان يقول:

«أنا لم اذكر زوجة، سنيوريتا، ولا ابناء وبنات. . . ومع ذلك فأن اعضاء عائلتي يعدوا بالمئات».

اعاد كأسه الى الطاولة وتابع قوله:

«أنها قصة طويلة، والافضل ان ابدء في شرح كل ما يتعلق بعائلتي، كونت دي نوماداس اي اكويلا هو لقب اول كونت بنى هذا القصر منذ قرون مضت كونت الرحالة والنسور».

ترجم الكونت كلماته ثم اضاف:

«فرصة مناسبة عندما تعتبرين أنه لا يوجد مكان آخر على الارض حيث اية ذرية تتمنى ان تكسب الحماية التي امنها له هذا الاقليم. النسر الملكي الاسباني كان يتغذى هنا منذ وصل المور الى هذا المكان، ولكن مظهر الرحالة يتطابق مع هذه النسور، وذات يوم التجأت احدى القبائل الى الامير للحماية ولقد سمح لها ان تبقى على جزء من الاراضي الممتلئة بالكهوف. والذي انتفعوا بها كبيوت وبقوا هناك حتى يومنا الحاضر».

«هل تعني ان العائلة التي تتكلم عنها هي قبيلة من الغجر؟ وهل تتوقع مني بجدية ان اشغل منصب معلمة لهكذا قوم؟».

عندما هز رأسه، تقلصت فرنسيس من العينان

الشرقيتان، وشعرت بالخوف.

«لقد اوضحت ذلك بما حملته لهجة صوتك، سنيوريتا بأنك تتحاملين مثل بقية المجتمع على قبائل الغجر، في كل بلد وبكل جنسية، يعتبرونهم وكأنهم حاملي اخطاء غيرهم. ولعدة قرون ارتبط الخبث بهم، واينما ذهبوا كانت الكراهية تقابلهم لأنهم كانوا متمسكين بعادات وحياتهم القبلية. ولسوء الحظ ما يبدو أنه دائماً يحصل هو ان وصول الغجر الى اية منطقة مرحب به من قبل المجرمين فقط اللذين يميلون الى فرض ارادتهم عليهم، ذلك انهم يعرفون ان المجتمع سوف يدين الغجر فقط».

اكد الغضب الذي على وجهه وارتسم على وجنتيه بأنه متعاطف مع الغجر ولكن ان يشير اليهم بأنهم اطفاله، وليشير بأنه احدى زعماء الغجر العظماء، وبدا ذلك لفرنسيس وكأنه يأخذ واجباته تجاه رعايتهم اكثر مما ينبغي بكثير وقالت فرنسيس بهدوء:

«لا استطيع ان ادعي أنني السلطة فوق قانون الغجر، ومع ذلك فإن احتقارهم الشهير لهؤلاء اللذين يدعونهم الدخيلين يجيب على السؤال بأن الشخص غجري فقط في حق الولادة».

رأت فرنسيس ان الكونت جفل، وهو يضغط على شفتيه وكأنها اشارة الى احتراق اعصابه والتي سببتها كلماتها الجارحة حيث اضافت:

«في بلدي، سلطات التعليم اجبرت على تجنب شيء، وهي ان اولاد الغجر وبسبب ترحالهم وعدم قدرتهم على

التكيف بنظام الروتين. والحاجة الى البقاء على هدوئهم لوقت طويل، فأنه من المستحيل ان يتعلموا».

«تماماً».

قال ذلك مثل نسر جائع مستعد للانقضاض على فريسته واضاف:

«ما يحدث عادة هو ان المعلمين يعلمون اولاد الغجر مواد الصفوف الاولى ويتركونهم لأنهم مراوغين، ويبررون ذلك بأنهم متململين، ذو ضجة كبيرة وسخين. هذه هي اسبابي لاحضارك الى هنا، سنيوريتا روس، اريد منك ان تنشيء مدرسة قريبة الشبه من المدارس الاخرى، حيث الدروس تعطى في الهواء الطلق. لزمن طويل حرم جنس الغجر من منافع التعليم يجب ان يتعلم اطفالهم كيف يعدون، يقسمون ويجمعون، يقرأون ويكتبون... اشياء ضرورية، على الاقل لكي يتحملوا مشاق الحياة والتعامل مع الاخرين، وليثبتوا للعالم بأنهم قادرين على القيام بأفضل من الغناء، الرقص والعزف على الغيتار».

شعرت بالخطأ من اظهارها لضعفها امامه، واحست فرنسيس برعب من جراء المعاني الخفية لكلماته. يظهر أنه كان يقيس اقامتها في الاندلس لمدة شهور... وحتى ربما لسنوات.

«أنني آسفة، سنيور كونت، ولكن حتى لو كنت محضرة لأتعاطى مع هكذا تعيين، الصعوبات التي يمكن ان تظهر من عدم قدرتي لتعليم الاطفال، ربما تثبت عدم ازالتها، ان معرفتي بلغتك تترك الكثير لكي ارغبه...».

www.elromancia.com

«ولكن سوف تتمكن بسرعة يوماً بعد يوم...».

«ايضاً...».

اكملت كلامها متجاهلة مقاطعته واضافت:

«ان لدي خبرة قليلة في التعليم ونوع الشخص الذي تبحث عنه يجب ان يكون استاذ مؤهل ليستطيع فرض ارادته على الاولاد، شخص يتعاطف مع هدفك لأن تزرع بذور التعليم في عقول اطفال الغجر والتي تكون مستعدة للبقاء في الاندلس هنا».

«ذلك هو نوذج المعلمة التي لا اريدها».

لمع ضوء الجواهر على عباءته ذات الحياكة العالية.

«هكذا تجربة قمنا بها وفشلت، بسبب الترحال».

اكد لها بلهجة نهائية اغلقت عليها آخر ابواب الحرية واضاف:

«لا تقلقي كثيراً من حاجز اللغة».

كان تشجيعه لطيفاً واضاف:

«ان للغجر لسانهم الخاص المعروف بالروماني، ولكن القبيلة التي عليك تعليم اطفالها... ولكن بقيت ولمدة طويلة تحت حماية عائلتي... لهم كلمات اسبانية عديدة ولكن لا صعوبة في التعامل معهم».

توقف عابساً ثم اضاف.

«ان الغجر يميليون الى الشعور بالصداقة».

وبدا وكأنه اصبح مكتفياً من الموضوع امسك سيجارة، ثم داسها بعمق في احدى المنافض.

«هل استطيع القول ان اسوأ مخاوفك قد زالت،

سنيوريتا، وبأنك الآن سوف تتوقفين عن القلق حول الاطفال الذين سوف يلتقطون الكلمات قبل ما يلتقط الحمام الحب؟».

ارتفع الكبرياء لدى فرنسيس عندما وجدت انه على حق.

«انك تتكلم وكأن قبولي اصبح مسألة منتهية».

«انه كذلك... اريده كذلك».

وبنعومة توقف على قدميه حيث ظهر الثوب مثل الاجنحة، فوق هيئته التي تشبه البرج حيث سمعته يضيف.

«وانا اريد ذلك تماماً».

قال ذلك وهو يضغط على اسنانه في ابتسامة غريبة جعلتها تشعر بالضعف ودون قوة، تنحني مثل عصفور صغير في ظل النسر الملكي الاسباني.

«درويي توم، رومالي كي».

استجابت فرنسيس بابتسامة غير اكيدة لما يبدو انه تحية اسبانية».

«شكراً سابيليتا».

ردت في اسبانية واضافت.

«عليّ ان اسأل الكونت ان يعطيني قاموس روماني حيث استطيع ان ارد عليك في لغتك».

«نايس توك هي الأستجابة المتوقعة لهكذا تحية، سنيوريتا، ولكنك لن تجدينها في اية كتاب، الاشخاص الذين هم مصرين على اعتبار اللغة سرية، ويجب التكلم بها».

www.elromancia.com

دارت حول فرنسيس وغرفة نومها، تفتح الستائر، وتحرك شيء هنا وآنية زهور هناك، وخلال اربعة وعشرين ساعة الماضية والتي مضت على وصول فرنسيس الى القصر، اتخذت سابيليتا دوراً هو مزيج من الحماية، الخدمة والصداقة.

تقدمت سابيليتا من خزانة فرنسيس وفتحتها وبعد ان نظرت الى محتوياتها قالت.

«ارتداء ملابس كهذه، كيف تأملين ان تحظين باهتمام روماني راي خاصتنا! اين هي الالوان التي تسحب عينيه مثل النحلة التي تجذبها البتلات النارية؟ اين هي التنانير الجذابة؟ اين هي الشالات القرمزية والبرتقالية، الاساور الذهبية والاقراط التي تجعل الموسيقى تلعب في اذنيه؟».

نظرت سابيليتا بطيبة الى فرنسيس واضافت.

«... وهكذا لماذا تقومين بأخفاء الحيوية التي هي هدية النساء وراء جاذبية الملابس، ان طبيعة الكونت تميل الى عدم الصبر، انه يتوقف الى الرومانسية على ان كل ما يحتاجه لاخراج الشيطان من قلبه هو رفقة زوجة جذابة وعاشقة».

صدمت فرنسيس بكلمات المرأة ولكنها بقيت صامتة.

وبهدوء حاولت فرنسيس ان تقول لها موضحة.

«لقد قابلت الكونت منذ يومين فقط، سابيليتا، وانا ليست لدي اية مخططات علي وهو كذلك كما اعتقد، اننا ببساطة لا استطيع ان اتصور ما الذي جعلك تستنتجين هذا الشيء، حاولي ان تفكري منطقياً».

حثتها فرنسيس بلطف واضافت.

«اسألي نفسك لماذا الكونت القادر على اختيار عروس من انبل واغنى العائلات الاسبانية الارستقراطية، سوف يوجه نظرة اليّ، انني متأكدة بأن الجواب على هذا السؤال سوف يكون مغاير تماماً لما تعتقدينه».

«لا اعتقد».

هزت سابيليتا رأسها بمهابة مما جعل الخوف يدخل الى قلب فرنسيس وسمعتها تقول.

«ان ذلك مكتوب في النجوم، في الرمال، وفي تحركات الكواكب، بأنك انت وروماني راي سوف تأخذون الخبز والملح مع بعض».

شعرت فرنسيس انها مريضة، وتحركت نحو النافذة، محاولة ان تركز عقلها على منظر لضاحية في سيرا نيفادا، وكذلك القرى الخضراء المتناثرة هنا وهناك وكذلك ركزت نظرها على حدائق القصر التي تقع تحتها مباشرة، حيث الممرات الحجرية المقوسة، اشجار الليمون ونوافير المياه الرقراقة، واوراق شجر الفاكهة تطفو على سطح الماء والتي تعكس الملامح الشرقية الداكنة لامير المور وعروسه الشابة.

وجدت فرنسيس نفسها غير مستعدة لمناقشة الغجرية التي تبدو أنها متأكدة من أنها تقرأ المستقبل وحاولت فرنسيس تغيير الموضوع بقولها:

«ماذا تعتقدين كانت تشبه البرنسيسة؟ هل كانت داكنة ام شاحبة، رشيقه او ممتلئه، ذات روح عالية ام انهزامية؟

www.elromancia.com

مهما كانت تبدو، فلا بد أنها امتلكت السحر، اذا ما كانت الاسطورة تجعلنا نصدق، بأنها كانت قادرة على ان تسلط عقل سيدها المور بعيداً عن افكار العبودية وان تغريه بأن يطير في وجه التحريم وذلك بأن ترفع فتاة عبدة ذات وضع مزري الى تمثال عروس ارستقراطية».

«ايزبيلا كانت رؤية انثى جميلة، مع حواجب مثل حواجب الطيور، انف مثل تفتح الياسمين، عنق ناعم. ورأس من بيضة عصفور، وشفاه مثل فلقة الرمان...».

اخذت سابيليتا انفاسها ثم اضافت:

«هكذا وصف للجمال لا يمكن ان يفشل في اجتذاب رجال، ولكنه لم يكن قصده ابداً ان يجعل ايزبيلا الشابة عروسه، لقد اراد فقط ان يأسرها حتى جاذبيتها تسقط على يديه. ولكن قيود الذهب ما تزال القيود بالنسبة لفتاة غجرية حيث يمكن ان تنجذب روحها ولكن لا ان يتم ترويضها».

استدارت فرنسيس بعيداً عن النافذة وقالت:

«بالنسبة الى الكونت، فأن قبيلة الغجر التجأت الى المور طلباً للحماية ضد المضايقات التعذيب. والمعاملة الظالمة، لذا فإن اعضاءها بالكاد كانوا في موقع لممارسة الضغط فوق رجل قوي وذو سلطة، حتى اذا هو عشق فتاة غجرية جميلة، ولكن عندها».

هزت فرنسيس كتفيها واضافت:

«الوقت هو مشوه للحقائق، وكل ذلك حدث منذ زمن بعيد».

«الفلامنغو لا تكذب».

صرخت سابيليتا بوضوح واضافت:

«ان قصص الفلامنغو تنتقل من الاب الى الابن... ان اللذين يخبرون القصص هم حافظون لتاريخ الغجر، أنهم يسجلون هجرتنا منذ قرون، ويساعدون في حفظ تقاليدنا وثقافتنا، معظمنا لا يستطيع القراءة ولا الكتابة، ولكن موسيقانا شيء يجب كتابته. أنها تعبر عن آمالنا، حياتنا مخاوفنا، وهي الرابط الذي يجمع الغجر جميعهم. ليس فقط في اسبانيا، ولكن في كل العالم، نحن لم نعرف ابداً كيف تم اغراء المور بأن يوافق بأن اول ذكر انجبه قد اطلق عليه اسم رومانوس، حيث ان الاسم يشير الى ان في عروق الصبي دماء غجرية، والذي يتصرف بأحترام مع الغجر، روماني راي... الكونت غجري حقيقي وهو كذلك احد اعظم النبلاء».

روماني راي! قالت فرنسيس ذلك بهمس وهي مصدومة، تلاحظ للمرة الاولى مغزى الاسم الذي طالما استعملته سابيليتا عندما تتحدث الكونت. اذاً فأن اول كونتيسة دي نوماداس اي اكويلا تنتمي الى الغجر! ولكن بالتأكيد، اذاً فأن الكونت خليط من الغجري والنبيل.

قالت فرنسيس بهدوء:

«ان قبيلتك محظوظة بأن يكون لديها الكونت الذي يحمل امر حمايتها، سابيليتا».

عبست فرنسيس ثم اضافت:

«وهل توضح الامر بالعاطفة الصادقة التي يظهرها تجاه جنسك. مع ذلك فأنني مندهشة من اشتياقك الى اعلانك

www.elromancia.com

القرابة مع شخص يملك دم غجري بكثافة».

بعينين قلقتين درست وجه سابيليتا، آمل ان لا تعتبر المرأة الغجرية العجوز كلامها كاهانة، ثم وجدت نفسها تموج بين الدهشة والراحة عندما قرأت التسامح في ملامحها المبتسمة.

«ان حقيقة اعلاني هي ظاهرة للجميع... كل جيل قد تمت مباركته من الكونت ذو العينان اللتين تشبهان عينا النسر... وهذا يثبت أنه واحد منا».

الفصل السادس

تراجعت فرنسيس عن غرفه نومها واخذت طريقها الى اسفل الى فناء القصر وكلمات سابيليتا ما زالت تدق في رأسها حيث كان الكونت يرسل احد الخدم ومعه رسالة تطلب حضورها.

وجدته ينحني بكتف واحد فوق الدوالي، رأسه يرجع الى الوراء بينما كان يدرس طول الجبل فوق خط الشجرة حيث البراري من الصخور الرمادية. ممرات داكنه، وثلج يذوب، وعندما يبقي غير مدركاً لسيرها الناعم واقترابها، توقفت لتستنشق بعمق، الشذا المسغس، اللذيذ لهواء الربيع.

استدار فجأة وكأنه اصبح واعياً لحضورها وراءه قائلاً:

«بون دياس، سنيوريتا، اتمنى ان تكوني قد نمت جيداً، وان تكوني مستعدة لتنضمي الى جولة حول الحدائق. ليست بعيدة من هنا، أنها داخل الاراضي

www.elromancia.com

خاصتي بقرب بحيرة الفلامنغو، منظر حيث أنني متأكد أنك سوف تجدينه مثيراً ومسلياً».

ركزت نظرها على صورته الطويلة التي ترتاح في قميص رياضي قصير، مفتوح على الرقبة ليظهر ميدالية ذهبية من الذهب الخالص، الليلة السابقة بدا أنه محاط بسلطة شرقية اصيلة، هذا الصباح، وكلمات سابيليتا ما زالت تركض في عقلها، تخيلت ان تستطيع ان تشعر بجو من التسامح والذي جعلها تشعر بالخجل.

«شكراً لك، أنني احب ذلك كثيراً... اذا كنت لا تمانع الانتظار لدقائق، فسوف اصعد الى غرفتي لأحضر الكاميرا».

توقف جانباً ثم اضاف:

«ان بحيرة الفلامنغو تقدم منظراً من الالوان والطبيعة والتي الى درجة ان دراستي قد اكتظت بالصور المأخوذة من كل زاوية محتملة. أنت مرحب بك ان تأخذي ما تشائين، ولكن ربما تفضلين القهوة قبل كل شيء وقبل ان نذهب، ربما شراب بارد...».

«لا اريد شيئاً لي شكراً لك».

اكدت له بنعومة.

«حسناً في هذه الحالة سنيوريتا، اسمحي لي ان اتقدم الطريق».

للحظات ساروا بين الممرات بصمت مطبق خلال اراض شاسعة من الازهار كانت الشمس دافئة فوق كتفيها، معلنة ان النهار سوف يكون حاراً جداً وقالت فرنسيس

لتقطع الصمت:

«لقد تخيلت سنيور... بأن جميع اراضي اسبانيا قاحلة، سهول جافة، لا شيء قرأته قد حضرني لهذا... هذا».

حركت احد يديها بطريقة تعبيرية واضافت:

«واحات خضراء وحياة من الخصوبة».

ابطأ الكونت في خطاه، يبدو منهمكاً لكي يدرك معنى كلماته، ثم لمعت عيناه الداكنتان وكأنه ادرك معنى كلماتها وقال وابتسامة خفيفة تلعب فوق شفتيه:

«لقد تمت مباركتنا بفيض من المياه... خلال الشتاء تفيض الينابيع، ولكن في الصيف تتحول الى الاقنية، بعضها يصبح مورداً للقرى، والباقي تأخذه الوديان».

«نعم انتم محظوظون... سوف اكون محظوظة ان ارى النرجس يزهر في حديقتي. هنا المشمش والليمون ذو رائحة زكية جداً».

«ولكن شتاءنا يمكن ان يكون بارداً ايضاً».

ذكرها، وشفتيه تتلوى عندما يبدو أنه غير مقتنع.

«صدقيني، هناك بعض الشهور في السنة حيث تخف المياه في اراضي القصر، وحيث اضع نفسي في احدى غرف القصر والذي يمكن تدفئته بقليل من خشب السنديان الذي يمكن احضاره من الجبال، ومع ذلك... وعلى الرغم من رياح الخريف والتي يبدو أنها تهب وتهب، اعتقد ذلك مقارنة مع شتاء بلدك الانكليزي، شتاءنا معتدل نسبياً».

www.elromancia.com

تابعوا سيرهم بصمت عبر غابة من اشجار الكستناء، وارشدها الكونت الى مستنقع عميق، وكذلك الى احد اعشاش الطيور فوق اشجار الجوز.

كان الحديث نادراً، وفهمت فرنسيس أنه ربما يريد الكونت تحقيق احدى غاياته من وراء هذا الصمت، هذا الشك تأكد عندما صدر صوت قرب اذنيها، ثم بدأ تدريجياً يعلو، اعلى واعلى وكأنهم كانوا يقتربون من حشد خيالي ارسلت نظرة تساؤل الى الكونت، ولكن بأبتسامة غامضة حركها الى الامام. واستجابت ارادياً.

وبعد عشرة دقائق عندما خرجوا من بين الاشجار الى الخلاء، وصدمها انطباع اعظم منظر غير عادي قد رأته لطير رائع، بضع مئات اليارادات من مكان وقوفها، وبدت مياه البحيرة وهي تموج تحت رفرفة احد الطيور فوق غابة من خشب البحيرة. ومشت فرنسيس، تشك في صدق عينيها ثم عندما حثها الكونت بأتجاه سرب يطوف الى سرب عظيم من طيور الفلامنغو والتي تستكين بعضها الى بعض، تتصادم وترتفع عن سطح المياه.

تدريجياً، تقدم الكونت الى الامام حيث الطيور، قريبة جداً فجأة رعب جماعي انذر السرب وبينما هم يضربون بأجنحتهم، يستعدون للطيران وللحظات خاطفة بدت البحيرة وكأنها تتألق تحت السرب، وتسمع سخطهم وسرب يثور من الخوف، ولكن عندما بدأت هي والكونت التراجع عن الطيور الخجولة استعادت هدؤها ولونها بعد لحظات.

رجعوا الى غابة اشجار الكستناء وساروا تحتها قبل ان

نجد الكلمات لتشكره.

«أنني ممتنة لك لأنك سمحت لي ان ارى هذا المنظر الجميل، سنيور».

«أنني شاكراً لك ايضاً، سنيوريتا».

اكد لها بشجاعة واضاف:

«رؤية بحيرة الفلامنغو من خلال عينيك، وما يسعدني هو أننا ما زلنا نملك اماكن طبيعية في هذا العالم لنا ولأولادنا».

اخذ يدها وبدأ يقودها الى الطريق ثم اوقفها امام بركة ذات مياه نقية ونظيفة الى درجة أنها استطاعت ان ترى حبيبات بيضاء في عمق البركة.

«هذه البركة لا يمكن ان تحدد بسهولة ابداً».

قال الكونت ذلك وهو يصل اليها ويلتقط احد اوراق الشجر، وعندما حطمها بين ذراعيه ورماها في الهواء.

«لقد اشتهر المور بأنهم احضروا هذه النبتة من الهند والتي هي مقدسة بالنسبة لكريشنا، ومع أنها تستعمل كل يوم من قبل زوجاتهم فأن زهرتها تعتبر كرمز ولاء، بالنسبة الى الغجر، فأن لها مكان ومعنى خاص في قلوبهم».

ولسبب غير معروف اشتعلت وجنتيها وسمعته يضيف:

«الا باهاشا وأنت تبدوان بالنسبة لي وكأنكما تتشاركان في المواصفات، سنيوريتا».

«أنت تعني لأننا صغيرتين، شاحبتين، سنيور؟».

«بالطبع لا».

عندما هز رأسه وارتبكت فرنسيس عندما قال لها:

«هل توصلت الى اية قرار بالنسبة للمركز الذي قدمته لك، سنيوريتا روس؟ دراسة النسور، العادات وهكذا وبما أنك تحبين رفقة الاطفال، الا تعتقدين بأن بضعة ساعات تقضينها في التعليم يمكن ان تزيل روتينية يومك؟».

«أنت ربحت، سنيور حسناً، سوف اقوم بما قلته لي، ولكن ارجوك ان تقنع سابيليتا بأنها مخطئة في اعتقادها بأنك احضرتني الى الاندلس بقصد ان تجعلني عروسك!».

توقعت منه ان يضحك من كلماتها، ولأن بالكاد يبتسم عندما قال لها:

«لقد خيبت املي، سنيوريتا».

قال بصوت جليدي، يتوقف على قدميه حيث بدا مثل البرج العالي فوقها.

«شيء واحد افكر به بأنه ضروري لأحذرك منه فضول الخدم، سابيليتا سوف توبخ لعدم اطاعتها امراً... وكذلك امر كلفتك به واعتقد أنك سوف تقومين به جيداً، ان موضوع زواجي محرم... وكذلك هناك شيء معروف وهو أنني كنت على وشك الزواج من فتاة احببتها منذ الطفولة، وقبل يومين من احتفال الزواج تم الغاءه، دون سبب غير ان ماريا قد غيرت رأيها قلبياً وعقلياً. ومع ذلك فأن ابوها لم يخبيء الحقيقة بأنه هو الذي كان وراء الضغط ليتحمل ابنته الوحيدة، هو الذي كافح بصعوبة ليقنعها بأن نقطة واحدة من الدم الغجري تشرب الغش، بوحشية في عروق الرجل، ومنذ ذلك الوقت، سنيوريتا بقيت في حالة

عزوبية، العائلات الاندلسية رائعة».

توقف جانباً ثم اضاف:

«هل تم ارضاء فضولك، سنيوريتا؟».

نظر اليها نظرة جدية ثم اضاف:

«حسناً! اذا اعتبرت نفسك في المستقبل ان تتدخلي في شؤوني الخاصة، فسوف اجد نفسي مجبراً اذا اقتربت مني بأسئلتك، ان اوقفك عند حدك».

واحد... اثنان... ثلاثة... اربعة... خمسة... امتلىء قلب فرنسيس بالبهجة وهي تعطي درسها لطلابها الصغار، واللذين استجابوا بحماس لطلبها حيث تذكروا الارقام الاسبانية الاولى.

كان الكونت محقاً في قوله بأن الغجر سوف يتجاوبون افضل، وكانت مقاعد المدرسة تمتلىء كل يوم تحت ظل شجرة من اجل حماية وفائدة الشابة الصغيرة التي قدمت من انكلترا. ارض حيث سمعوا ان لها طقساً بارداً.

ولمدة يومين بقيت فرنسيس فاترة العزيمة من جراء عدم استجابة الاولاد اللذين كانوا يضحكون، يلعبون، وبدؤا تدريجياً وواحد تلو الاخر، يملؤا المقاعد، حتى ان فرنسيس طلبت المتأخرين احضار كراسي معهم من خيمهم.

اصبح النظام البارد من الكونت تجاه ضيفته على العشاء اصبح اكثر ليونة مع كل تقرير كان يصله عن مدى تقدم مشروعه، وفوجئت ذات يوم به وهو يدفعها الى كرسيها قائلاً:

www.elromancia.com

«والآن اريد ان اعرف ما هي الانطباعات التي كونتها عن تلاميذك، بيوتهم واهاليهم ولكن اولاً، علي ان اسألك السماح واذا كنت لا تمانعين، فأنا افضل ان تناديني رومانوس. . .».

هز كتفيه واضاف «وهل أنا في المقابل استطيع منادتك بفرنسيس؟».

الفصل السابع

استجابت ووجنتيها تعلوها الحمرة، واومأت برأسها ومضت الايام جميلة حيث كانت فرنسيس تصطحب عائلات الطلاب الى بيوتهم وتستمع الى مشاكلهم، وذات يوم ذهبت الى منزل احدى الاشخاص ويدي كولفاتو حيث تذوقت طعام وكان لذيذاً وسمعته يقول لها:

«كل شخص يوافق على ان زوجتي طباخة ماهرة، ولقد اخبرتها ان لا تقلق».

تدخلت زوجته فلور قائلة:

«ان رجلي هو خبير. . .».

نظر كولفاتو الى فرنسيس قائلاً:

«نحن الغجر كنا دائماً من الاجناس التي تحب الجمع، حيث لم نكن لا صيادين ولا مزارعين، ولقد تعلمنا ان نستفيد جيداً من الطبيعة، ان فاكهة الارض تعود الى جميع البشر. . . هل تعرفين سنيوريتا، بأننا نحن الغجر اول من

www.elromancia.com

حاول الصيد، ونحن ايضاً خبراء في طعام مصنوع من النباتات...».

انحنى كولفاتو ناحية فرنسيس مضيفاً:

«ان فن صناعة الحيل والطعوم قد تم تعليمه لي، والى اخي روم، من ابي الاصيل. روم كزعيم لقبيلتنا، وان اكبر ابنائه في هذه القبيلة».

قاطعت فلور زوجها قائلة:

«ان كولفاتو لا يعني عدم الاحترام، عندما يشير الى الكونت بأنه اخوه أنت تفهمين سنيوريتا، أنه يعتبر واحد منا... كعضو في عائلتنا».

«عدم الاحترام...!».

نظر كولفاتو الى زوجته عابساً واضاف:

«لماذا تجدين أنه من الضروري ان تشرحي كل كلمة اقولها وتكون مرتبطة بأخيك لم يقم بحلفان الغجر بينما كان يلمس صدري بطرف شعرته، وكذلك الم يعمد باسم، غجري بينما حضره كان مربوطاً بشرائط ذهبية اللون؟ بالطبع أنه أخي!».

سكت قليلاً ثم قال وهو يتذكر.

«لقد قدم لكي يرتاح بعد ان جرحته خطيبته الخائنة، ومن غيري قد اختاره لكي يشاركه نوبة مرحة المتوحشة والتي انتهى بها بأن يكسر شيطان الرغبة في نفسه؟».

«باه!».

كانت كلمة فلور مفهومة وفي اية لغة حيث قالت في وجهه:

«لمدة اربع سنوات استغليت خيبة امل روم في الحب كعذر من اجل ان تغيب لاسابيع طالباً الحرية! لماذا لا تستطيع ان تعترف ببساطة بأن هكذا رحلات تكون ضرورية لكي تخفف الدوافع القبلية، أنا اشاركك ايضاً حسب الحرية، حاجتك لكي تهرب من قيود الواجبات تجاه الاطفال اذهب مع اخيك اذا كان عليك ذلك...».

وقفت على قدميها وكأنها لم تعد تستطيع الاحتمال، ثم اضافت:

«ولكن كن صادقاً بشأن دوافعك، كلاكما! روم لم يكن يحب ماريا بيرالتا ابداً! بالنسبة اليه، كان فقط رفيقة طفولة لا تكبر ابداً! لعبة لا تفهم معنى العواطف الانسانية، اي نوع من النساء... تستطيع ان تسمح لنفسها ان تتكلم عن زواج من تحبه فقط من جراء خوف والدها من شيخوخته؟ عندما خدعت ماريا بيرالتا اعظم وارق عازب في الاندلس، مستعملة عذر وهو ان دماء العائلة يجب ان تبقى نقية، فهي لم تنتهك حرمة اعضاء مجتمعها فقط، بل ادانت نفسها بأن حلية تجمع الغبار فوق احد الرفوف، كانت كل فتيات الاندلس الشابات مستعدات لتعزية روم من جراء خيبة امله، هاه... خلاسة المظوظ، افضل بكثير».

«امرأة...».

صرخ الرجل بها واضاف وهو يضرب قبضته فوق الطاولة:

«أنك تتكلمي كثيراً... هل نسيت أنه لدينا ضيفة في منزلنا، وكذلك فأنها تزورنا للمرة الاولى».

www.elromancia.com

جلست فرنسيس ساكنة وهي تنظر الى الشخصان الغجريان على طرف الطاولة، لم تشهد ولا مرة في حياتها مشاداة نارية كهذه، توقفت على قدميها ولكن اتجهت نحوها العيون الداكنة عندما سمعتها تقف، احست بأنها متطفلة وضع كولفاتو كف يده على جبهته قائلاً:

«الالاف الاعتذارات! فلور ابحثي عن الماء، لقد اخفت الانسة الانكليزية بكلامك ذلك».

لم تتوقف فلور لتجادله اسرعت لكي تبحث عن الماء، كادت فرنسيس ان تتكلم عندما سمعت صوتاً يصدر من الباب.

«لا بد لي ان اعتذر لوصولي متأخراً... اعتقد أنك انهيت طعامك فرنسيس؟» قال اسمها بلهجة محببة ولكنه اضاف:

«واذا لم تنتهي بعد، فارجو ان تسرعي، أنا انتظر في الخارج بينما تنهين طعامك».

«روم، صديق قديم».

اوضح كولفاتو وتقدم من رومانوس قائلاً:

«أنت تقول... بأنه لا يوجد غرفة لأخي في منزلي».

«لا ابداً».

ابتسم الكونت، مصافحاً يد كولفاتو بحرارة واضاف:

«أنا لم آتي لوحدي، وأنا سوف انتظر خارجاً مع رفقة احد الاصدقاء».

اوقفته فرنسيس ثم نظرت الى كولفاتو قائلة:

«لقد استمتعت بوجبتي كثيراً، شكراً لك لأنك

دعوتني».

«ان حضورك على مائدتنا قد اسعدنا، سنيوريتا» سكت ثم اضاف:

«قريباً، في الوقت الذي يناسبك، ويناسب أخي روم، فيجب ان نتدبر زيارة خاصة، فسوف نقيم حفلة».

نظرت فرنسيس الى فلور فوجدتها تشبك يديها بفرح مثل طفل صغير التي قالت:

«ان الاصغاء الى موسيقانا، سنيوريتا سوف يساعدك على ان تفهمي الغجر اكثر كيف ذلك يفرحنا ويساعدنا على نسيان الاحزان العميقة في داخلنا. عديني أنك سوف تأتين...».

نظرت فلور الى رومانوس بعينان تتوسلان قائلة:

«ارجوك، روم قل أنك سوف تحضر المعلمة الى حفلتنا؟».

بعد ان تردد للحظات، هز كتفيه ثم قال بلطف:

«كما تقولين، فلور مزيج المور، الاندلس والغجر في الفلامنغو يقدم حياة مليئة بالتناقضات».

بدا الكونت طويلاً ومستقيماً، يرتدي اللون الاسود، مع جاكيت قصيرة وقبعة سوداء من قرطبة، يضعها من اجل القيادة، مع أنها كانت غير مستعدة من اجل الجدال معه.

كان هناك حصانان عربيان اصيلان، يحفران الارض، حصان اسود وفرس بيضاء، فتاة وحيدة تظهر في ثياب ركوب سوداء.

وعندما نظر الى رفيقته، خطى فلور وكولفاتو بقساوة الى

www.elromancia.com

الوزراء:

«عزيزتي».

حتى عندما تكلم الكونت، حدست فرنسيس هوية الفتاة التي كان الكونت على وشك تقديمها لها.

«احبك ان تقابلي سنيوريتا فرنسيس روس، المعلمة الشابة والتي تقوم بعمل رائع مع تلاميذها، فرنسيس».

نظر اليها بعينين لامعتين، واخبرتها تقوس شفتاه أنه كان يستمتع بارتباكها حيث اضاف:

«اسمحي لي ان اقدم لك صديقة قديمة، سنيوريتا ماريا بيرالتا، ابنة اعز جيراني، غونزالس، كارلوس بيرالتا.

عيون ماريا، كانت بنية داكنة وهي تحدق في الكونت عبر الطاولة الطويلة، وبدت بعيدة وخاصة عن فرنسيس في بلوز جميلة وتنورة ذات حياكة ممتازة.

«هل تنوين البقاء طويلاً في الإندلس، سنيوريتا روس؟».

سألتها ماريا ببرودة، حيث وضعت فرنسيس بعناية السكين. كانت رحلة العودة الى البيت كابوساً وقطع تفكيرها صوت ماريا تقول:

«حسناً... هل زيارتك لأسبوع، لشهر، او ربما فقط لبضعة ايام؟».

«ان فرنسيس سوف تبقى معنا لمدة غير محددة».

قال بنعومة، حين انقذها الكونت وجلس مضيفاً:

«احياناً، اجد نفسي متأسفاً على مرور عصر الحكام الاقوياء حيث ارادتهم كانت تعتبر قوانين. ولم يحتاجوا

للتملق والمداعبة».

«ولماذا يجب ان تتمنى فعل ذلك؟».

«بالطبع ان سببي واضح؟».

ابعدت فرنسيس نظرها عن العيون الاسبانية، ثم توردت عندما رأت نظراته العميقة تغزوها، ابتسامته الجذابة.

وقع نظرها على ماريا، التي جلست مثل اخرس بارد، وتعاطفت مع ألمها، عندما تذكرت دماء الكونت التي لا بد ستثأر منها، فرنسيس تعاطفت مع المرأة الاخرى ولكنها سمعتها تقول:

«لقد تخيلت بأن اولئك الاولاد الغجر ذو النظام المريض سوف يكونون في حاجة الى شخص ناضج مدرب خصيصاً ليتعامل مع هؤلاء الاشخاص، مع غرائزهم في السرقة. ان الاولاد يحتاجون الى نظام قاسي. روم ان آنستك الانكليزية تبدو لي بعيدة عن النضج لكي تمارس السلطة فوقهم».

شعرت فرنسيس بعينا الكونت الضيقتان تبحثان عن ردة فعلها، رأته يرتاح في كرسيه وسيجاره بين اسنانه، يتمتع بشيء وكأنه ينتظر مشهد معين من اجل تسليته... ولكنها كانت بعيدة على ان تهتم.

«بالطبع الاولاد بحاجة الى تعلم النظام، سنيوريتا بيرالتا».

اكدت فرنسيس ذلك ببرودة واضافت:

«ولكنه من الممكن تلقين معدل جيد من التصرف، لكي نعطي نتائج جيدة، وايضاح اي نوع من التصرف مقبول

واي تصرف لا. ان نتاج تجربتي هو المعتقد الذي يقول بأنه لا يوجد هناك اطفال اشرار... فقط درجة ذكاء او عدمه بينهم!».

«تجربتك».

بعثت ضحكة ماريا المحتقرة الخجل في وجنتي فرنسيس التي اضافت:

«وحتى اكتسبت هذا الكم الكبير من التجربة... ربما خلال السنوات القليلة التي قضيتها في الكلية؟».

«بعض الشيء... ولكن معظمها خلال السنوات السعيدة التي قضيتها كطفلة».

وعندها عم الصمت فوق الطاولة، لم تشعر فرنسيس بالنصر عند فقدان الرصانة التي جعلت ماريا صامته، تتخبط في الكلمات لتبدأ دفاعها من جديد.

وكان تعبير الكونت غامضاً، ولكن تقوس شفتيه اخبرت فرنسيس بأنه كان يجد جدالها هي وماريا مسلي.

ربما هذه اللمسة من المتعة التي ايقظت كبرياء ماريا الاندلسي، حيث هزت كتفيها قائلة:

«اذا ما كانت زيارتك سوف تطول حتى عيد الفصح، سنيوريتا روس، فيجب ان تأتي الى حفلتنا، في وقت حيث تنشط الاندلس بمصارعة الثيران، عروض الفروسية الفخمة، وموسيقى الفلامنغو، الكرنفالات وغيرها...».

وقفت على قدميها. حيث لمعت عيناها بمواجهة الكونت، الذي كان يقف بأدب على قدميه بينما كانت تضيف:

«هذا اقليم الدون خوان السيء السمعة، الفاسق حيث اعماله ما زالت تنسخ من قبل العديد من الخليعين».

وقفت فرنسيس على قدميها لكي تواكب ماريا والكونت الى الاسطبلات حيث تركت فرسها في رعاية السائس وسمعتها فرنسيس تقول:

«يجب ان نتدبر موعداً عندما تكونين فارغة الاشغال من اجل زيارة منزلي، سنيوريتا روس».

ظهرت اسنانها البيضاء في ابتسامة شاحبة وهي تضيف:

«ان أبي يشرفه ان يري ضيوفه مجموعة الثيران الموجودة لديه والتي هي حصيلة سنوات من التربية والعناية، والبعض يقول بأن الثور الاندلسي هو اخطر حيوان في العالم».

ارتعشت فرنسيس، تقاوم دافع لكي تتبع اتجاه نظر ماريا، والتي حطت مثل يمامة باتجاه الرجل الصامت الذي كان يجول بقربها.

وقالت فرنسيس معترضة:

«كيف تستطيع ان تجد المتعة في القتل؟ اليس في قلبك شفقة ابداً نحو الثور الغير محظوظ والذي ليس لديه اي خيار سوى الانصياع لرغبات المصارع!».

كانت نظرة ماريا المحتقرة توازي التساؤل في عيني الكونت الذي قال:

«لسوء الحظ... لا اعتقد ذلك. عندما يحين وقت الثور لكي يقاتل جولته الاخيرة فأنه يتمتع بوحشيته القاتلة؟ أنا لا استطيع ان اتناقش مع فكرتك بأن المصارعة ليست رياضة».

وعندما وقع ظل كبير على الارض تحت قدميها، تنهدت فرنسيس ورفعت وجهها الشاحب نحو الكونت، متوقعة منه ان يغضب نظراً لمجادلتها، ثم حدقت بعينين واسعتين من الدهشة عندما رأته يبتسم، ومن خلال كتفيه رأت تعابير وجه ماريا، والتصقت الارض بالسماء عندما انحنى الكونت فوق شفاهها مثل نحله تمتص رحيق زهرة يانعة.

«علي ان اعود بسرعة، يا عزيزتي».

كان وعده عالياً من اجل ان يصل الى سمع ماريا واضاف:

«اقترح عليك ان ترتاحي في غرفتك».

وباهتمام واضح ابعد خصلة من الشعر عن جبهة فرنسيس واضاف:

«ان الازهار الانكليزية الشاحبة تميل الى السمرة تحت الشمس الاندلسية... اتوقع ان ارى جمالك المنعش يعود عندما تنضمي الي على العشاء هذا المساء».

«لماذا...؟».

تنفست، مركزة تفكيرها فوق الخيالة اللذين رجعوا الى الوراء، لا يجرؤ حتى على تحليل عواطف غريبة التي اظهرها الكونت فجأة وفكرت فرنسيس، لماذا وجد أنه من الضروري ان يستعملني كحاجز بينه وبين ماريا بينما هم يشكلان زوجاً رائعاً، مثلما الليل يكمل النهار، والمد يواجه الحلو، وكذلك كما حصان اسود داكن يتقرب من فرس بيضاء ناعمة.

وبعد ان اختفى الراكبان على احصنتهم عن النظر،

بقيت فرنسيس تحدق في الفضاء ثم اصبحت واعية لحرارة الشمس فوق رأسها العاري، ورجعت ادراجها لتبحث عن الراحة في القصر. وكالعادة وضعت قدميها فوق رخام القصر الابيض التابع للقاعة ذات السقف العالي، الرسوم، والتحف القديمة التي ذكرتها بالكنائس التي زارتها.

كانت ضائعة في التفكير، تحدق بثبات في صحن من البورسلان حيث رسم في قعره ديوك برية ذهبية.

«ان ريش ذيل الديك تجلب الحظ في الحب».

ارتعشت فرنسيس لدى سماعها الصوت فاستدارت ورأت سابيليتا التي اضافت:

«على الفتيات ان يعودوا الى السحر اذا ما كانت اعمال حبهم لا تثمر، اذا اردت ذلك، سنيوريتا، فأنا استطيع ان اتدبر لك تعويذة حب، والتي تحول قلب رجل بارد الى قلب عاشق محب. ان تعويذاتي تنجح دائماً».

وعدتها قائلة:

«اخبريني عن اليوم الذي ولدت به، بالضبط في اية ساعة، حيث أنني استطيع ان اعرف اية احجار، ازهار وزيوت علي ان اجمعها».

وبخجل قالت فرنسيس:

«لا تكوني غبية، سابيليتا؟ ما هي حاجتي الى تعويذة حب؟ وما انا بالنسبة الى الكونت، فأنا اتخيل أنه آخر انسان في العالم يحتاج الى دروس في الحب».

«الحب هو ضروري للاشخاص اللذين يريدون ان يعيشوا الحياة كما يجب تماماً».

www.elromancia.com

اصرت سابيليتا على كلماتها واضافت:

«بسعادة، مع ليالي عديدة من العاطفة المشتعلة! لنفترض أنك واقعة في الحب، والرجل الذي سيشاركك حياتك لا يعيش الحب، لذا فأن بضعة رشفات من محلولي السحري، سوف يأخذكما انتما الاثنان الى ابواب الجنة».

«علي ان اذهب الآن».

هزت سابيليتا رأسها قائلة:

«أنك تهزئين مني، سنيوريتا... وذلك يعني بأنني مجبرة ان اثبت صدق تعويذتي، والتي جمعتها اجيال من عائلتي خلال تجوالها حول العالم».

عبست فرنسيس، ثم مشت ناحية السلالم وهي تعض شفتها السفلى حيث ستشعر بالامان في غرفتها وتغلقها بالمفتاح، على الاقل جسدياً.

وضعت رأسها على وسائد مريحة، مصممة على ان تبقى مستيقظة، ركزت نظرها على السقف، مصممة على ان تريح تفكيرها وتدرس الغرفة. في البداية لم تجد صعوبة في تعريف هلال القمر، سنابل حنطة، ونضوة الحصان والتي كانت رموز شرقية تجلب الحظ، وكذلك مخالب، اسنان وريش عصافير، واخيراً غرقت في نوم عميق.

كانت الغرفة مليئة بالظلال عندما، ازعج سكونها بعد ساعات بصوت خفيف والذي جعل رموشها تفتح مباشرة، تحركت بكسل، ولكن عندما رفعت احدى يديها، اجابت عيناها الواسعتان على حركات الظل الداكن الذي انحنى

فوق السرير.

«لا تخافي يا عزيزتي».

صوت مألوف قال ذلك ثم اضاف:

«لقد اتيت فقط لكي اذكرك بأن الوقت لتناول العشاء حيث ترتدين احد اثوابك».

«أنا لا املك ثوب، كما اشرت أنت سنيور».

انعكست دهشتها في عينيها واضافت:

«هل أنت معتاد على دخول غرفة نوم سيدة دون ان تطلب الاذن بالدخول؟ اذا كان كذلك، فيجب علي في المستقبل ان اتذكر اغلاق القفل...».

ثم صمتت فجأة، نعم لقد اغلقت بابها بالمفتاح.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

وبنظرة ساخرة، تنحى جانباً لكي يشير الى حفرة احدى الجدران.

«وراء هذه يقع ممر سري يربط هذه الغرفة بغرفتي».

ابتسم وهو يقترب منها، حيث بدا شعره اسود لامع واضاف:

«اشارة، كما افترض فان ذلك الممر لا يجب ان يعتبر امتياز في القرن الحالي» ناضلت فرنسيس من اجل ان تخفي خوفها من الرجل الذي يمتاز بالمزاج الغامض. وقالت بصوت ساخط:

«مهما كان هناك في العالم. سنيور فانا اشعر بالتأكيد بأن اسلافك كانوا ذو تفكير واسع، ان شجرة الخطيئة تنشر جذورها اعمق».

«مثلي أنا تماماً، كما اعتقد».

اجاب في لهجة حريرية مثل ملمس يده فوق عنقها

الابيض واضاف:

«ان النساء اللواتي يقمن بأعترافات الفضيلة تكون افتقار الاغراء هو السبب الذي يجعلهم يقومون بذلك، ومع ذلك...».

استدار بنعومة جانباً واضاف:

«لقد اتيت الى هنا ليس من اجل ان اسرق فضيلتك، ولكن لكي احاول ان احتفظ بها، ماريا والتي تقودها دوافعها الانانية، قد جعلتني ادرك بأن وجودك بدون رقابة في منزلي سوف يجعل كلام الناس كثيراً حولك. لذلك قررت».

توقف للحظات ثم قال ببرودة:

«وبما ان التقاليد فرضت علي ان اقدمك كمعلمة، فأن الحل لمشكلتنا نحن الاثنين يمكن ان يحل بعقد بسيط من الزواج».

ارادت فرنسيس ان تتحرك، ان تخلع نفسها من السرير وتهرب بقدر استطاعتها بعيداً عن هذا الشيطان الميت العواطف والذي يعتبر الزواج، فقط حلاً لمشاكله، ولكن ملمس اصابعه فوق جلدها العذرى ارجع جسدها ضعيفاً، مشتعلاً وبدون قوة.

«حسناً... الا يوجد عندك جواب على عرضي؟».

«هل هذا ما تسميه لقد اعتقدت أنك تقدم لي عقد، اندماج جسدين فقط من اجل تأكيد استمرارية الحياة».

لم تستطع ان ترى وجهه، وشعرت من تعابيره بأن مزاجه كان متيقظاً.

«هل تجدين هكذا فكرة بغيضة؟».

خرجت الكلمات بهمسة من شفتيه بينما مال نحوها. وبعد ذلك وبدون ان يعطيها الوقت لتسحب انفاسها من بين الوسائد الى ذراعيه والتي اسرت جسدها فوق صدره ذو العضلات القوية.

«كم أنني مقصر ان اتغاضى عن احتمال خيانة طفل».

همهم ذلك وهو يضحك بنعومة، وكأنه يعرف ان قبلاته كانت تغرس رعب لذيذ في كل عصب من اعصابها وقال:

«هل أنت تتأسفين على غياب رجل جائع... حسناً، وبما أنك تعززين سنواتك لأيام الخطوبة، فأسمحي لنا وبكل الوسائل بأن نضع عبارة في ذلك التأثير المكتوب في عقدنا».

ارتدت فستان ابيض بسيط والذي احضره دكتور ريبيرا، وكذلك عقد من الجواهر الازرق اللامع والتي اصرت عليها سابيليتا ان ترتديه والذي يحميها من عين الشيطان، تفوهت فرنسيس بكلمات الزواج مع الكونت بصوت منخفض داخل الكنيسة الصغيرة حيث مريم العذراء تبدو بعيون حزينة.

وبمساعدة الدكتور ريبيرا مشت على طول مذبح الكنيسة حيث ينتظرها الكونت، وشذا الازهار يملىء الجو بوعود الحب، الطاعة والشرف، الرجل الذي يحتاج الى زوجة ترزقه طفل، شخص يحمل صفات اسلافه المور.

«هل لي ان اقول، كم أنا فخور كي اقوم بتقديم عروس اعز اصدقائي، زوجك».

ابتسمت فرنسيس له شاكرة، مفضلة عدم الكلام، حيث يبدو الكونت بشفاهه الحميلة وهو يأخذ الاعتراف منها بأنها تحبه، تعبده وبأن جسدها قد اغري بجنون لكي ينتمي اليه وقال الكونت:

«شكراً لك برنادو لمساعدتك وامنياتك، لقد اوصيت الطيار لكي يحضر الهليكوبتر من اجل عودة سريعة الى ريسزرفا، لذا فأنني اعتذر عن عدم مشاركتك لنا الغذاء، مع أنني اكيد ان زوجتي تفضل ان تكون هنا».

لم تكن فرنسيس واعية لأصابعها وهي تنغرس بتلة الزهور التي بين يديها، انتظرت فرنسيس مع الكونت خارج الكنيسة، حتى اختفت صورة الدكتور ريبيرا، ثم رفعت عيناها الى ناحية زوجها غير المبتسم.

«احياناً، روم...».

بدا اسمه وكأنه يضرب برأسها لثواني وقالت:

«أنني اتساءل اذا ما كنت قد لاحظت، كم أنك تبدو عدواني لهؤلاء اللذين يحملون لك الحب والصداقة».

«لقد تعلمت هذه العادة من الطبيعة، يا عزيزتي الطيور الكبيرة تأكل الطيور الصغيرة، الطيور الصغيرة تأكل الحشرات، الحشرات تأكل الديدان، أنا لا ابحث ابداً عن العاطفة، لذا فأنا لا ارى سبباً لاشعر بالذنب تجاه هؤلاء الاشخاص».

«أنك تطرد الصداقة والعاطفة لأنك لست مستعد ان تعطي شيء في المقابل».

همهمت فرنسيس بحزن، تتذكر وعندها بأن تحب هذا

الرجل، بينما هو لا يحمل اي حب ليقدمه لها.

وكأن الكونت شعر بها، تقدم ورفع ذقنها بأصبعه وحدق بعمق في عينيها البراقتين.

«أنا لا ارتدي قناعاً امامك، فرنسيس، ولكن لأنني اضعت قلبي مرة واقسمت ان لا افعل ذلك ثانية. ذلك لا يعني أنني غير قادر على العاطفة... فقط أنا ارفض ان اصبح عبداً للعاطفة، والمقارنة الحقيقة التي استطيع ان اقوم بها هي تلك التابعة لرجل شفي من نوبة الحمى. ما زال يميل الى الهجوم المنظم».

احمرت فرنسيس، وشعرت بأنها صغيرة عندما تذكرت كيف ان تجربته قد لمست عواطفها، وعندما ماتت الموسيقى واصبحت صفير، شعرت بالصدمة وذعرت، وارتبكت من ردة فعلها، ولكن الكونت تركها بدون شك بسرور في اكتشافه عذريتها.

لقد ايقظت قبلاته الحب فيها، حب غير خائف لقد قدمت كل عواطفها التي كانت داخلها، امسك الكونت يدها، ورفعها الى شفتيه، ثم ببطء وحرص قبل اطراف اصابعها.

«أنني آسف أنه قد تم احراجك خلال موكب الزفاف، يا عزيزتي».

«ذلك لا يهم».

«ولكنه يهم... ان افضل يومين في حياة المرأة يجب ان يكونوا، اليوم الذي تتزوج فيه، واليوم الذي تمنح فيه الحياة لمولودها الاول. لحسن الحظ، فأن هناك احتفال

ثاني يجب انجازه قبل ان نعتبر متزوجين في عيون عائلتي الغجرية ربما تجدين عادتهم سيئة، ولكنني اعدك بأنه لن يكون هناك المزيد من التمنيات حيث يأخذونك الى قلوبهم بحماس لا اعتقد واؤمن أنه معقول».

«لقد كسبت رضا عظيم من جراء تلاميذي الاذكياء».

«ومع ذلك... فأن الغجر يحبون ابقاء دمائهم نقية. ان الدم الروماني والاسباني ولعدة اجيال قد تم لدى الغجر... وبسبب الصداقة الخاصة الموجودة بين عائلتي وقبيلتهم، وفي حالتك، يا عروسي، فأن الغجر مستعدون ان يقبلوا بأجراء مراسم زواج روماني لشخص لا ينتمي الى جنسهم».

بدا قلبها وكأنه سيتوقف بينما تنهدت لتعبر عن الراحة التي كسبتها من معرفتها لهذه المعلومات، في الوقت عندما شعرت أنها بعيدة عن حنان الاسرة والاصدقاء، فها هي سوف تصبح عضو من قبيلة غجرية.

«يجب ان احذرك، فرنسيس...».

قال عابساً ثم اضاف:

«بأنه عندما يتبناك الغجر كواحدة منهم، فسوف تكونين مجبرة على اتباع تقاليدهم، وان تخضعي للقوانين التي تطلب طاعة كامل، حيث كل امرأة رومانية يتوقع منها ان تظهر خضوع مطلق لزوجها، وان لا تعتبر حياتها مثل سجن».

بشجاعة قالت:

«ان السجن مكان حيث السعادة لا تظهر، مكان

www.elromancia.com

المتشردين، وفوق كل ذلك فهو مكان حيث يبقى المرء فيه ضد ارادته، ان امنيتي العزيزة قد تحققت... عندما سألتني ان ابقى هنا معك».

عندما احنى رأسه ليطبع قبله على فمها شعرت بأن العالم اصبح كله سعادة.

«دعينا نذهب، كونتيسة».

هزء بحب من احمرار وجنيتها واضاف:

«قريباً سوف يصبح لقبك هو بوري راني».

وخلال جلوسهم في السيارة ذات السقف المفتوح وهم ذاهبون الى الغجر ارتفعت روح فرنسيس بينما نظرت الى عيني زوجها، وبينما اقتربت السيارة ارتفع صوت الموسيقى يرحب بهم.

وعندما وقفت السيارة ظهر لفرنسيس، الكثير من الورود من جميع الالوان تقريباً، ملتفة حول غصون الاشجار، وخرجت القبيلة لترحب بهم.

واصوات من الفرح صدرت من حناجرهم عندما رفع الرجل الذي يعتبرونه زعيمهم، عروسه من مقعدها ثم ارجحها عالياً مما سبب ارتباكاً لها قبل ان يضعها بهدوء على الارض.

«دروبوي تون رومال».

كانت التحية من مجموعة الغجر يرتدون الوان زاهية، النساء والاولاد يرتدون ملابس من الزهر المشتعل، البرتقالي الاصفر وظلال الاحمر، كذلك كانت اسوارهم كبيرة وكذلك عقودهم واقراطهم بينما بدا الرجال في ثياب

اقل احتفالية، قمصان ذات اكمام واسعة، ومعاطف تصل الى الخصر وحولها عملات ذهبية.

«نياس توك».

قفز قلب فرنسيس عند اكتشافها بأن الكونت كان قادراً على اظهار تكشيرة واسعة، ثم رفع ذراعيه في اشارة الى قوله:

«لقد قدمت لكي اقدم، عروسي، فتاتي الغجرية الصغيرة، وفتاة المستقبل بوري راني خاصتكم».

بدلاً من ان تسعى ان تضبط عناق يديها معه. شعرت بنفسها تبتعد عندما نزل جمهور الغجر ثم انقسموا الى مجموعتين ذكور واناث، بينما كانوا يحثونها بأتجاه الخيمة التي شيدت في مكان منعزل، وارسلت نظرة حيرى الى الرؤوس.

«ادخلي هنا، بورني راني، اذا سمحت».

كانت سابيليتا تفتح الخيمة على وسعها، استجابت فرنسيس لسابيليتا، ثم اخذت نفسها عندما دخلت مباشرة الخيمة والتي كانت تحمل شذا زهور برية رائعة منتشرة هنا وهناك.

«يا للسماء».

قالت ذلك وهي تتنهد، مسحورة من جمالهم ولكنها قالت:

«اذا ما اجبرت على البقاء داخل هذه الخيمة لمدة طويلة من الوقت فيجب ان احصل على مزيد من الهواء... لماذا تم احضاري الى هنا، سابيليتا؟ ولماذا كل شخص ينادي

بأسم بورني راني».

«لأنك سيدة عظيمة، زوجة نبيلنا الغجري، روماني راي». قالت ذلك سابيليتا بصبر.

«أنا سيدة عظيمة؟ لا اعتقد ذلك».

ضحكت فرنسيس بصوت عال وسمعت المرأة تضيف:

«ان الغجري تقوده غرائزه فقط. ولا واحد ولا حتى روماني راي، يستطيع ان يأمر اعضاء قبيلتي ان ينظف الاخشاب النادرة، نحن لا نحتاج الى هدية لكي نلاحظ الحب التي تشعرينه في قلبك لاطفالنا كما لزعيمنا. ان قبيلتنا فقيرة ولكن نحن نريد اظهار ذكاءنا وقوتنا، قوة نكتسبها من معرفة النباتات واستعمالها والتي يتم جمعها من زوايا الارض الاربعة، هذه هي هدية زواجنا لك، بوري راني... العشب ذو الفوائد السحرية والذي سوف ينقلك هذا الليلة الى الجنة حيث ستحملين طفلاً جميلاً، قوياً».

انحنت فرنسيس لسابيليتا دون مجادلتها. ولمست فستانها الازرق الناعم والذي صنع خصيصاً لها والذي جعل عيناها تبدوان غامضتان، كان تصميم الثوب يتبع موضة الغجر المفضلة. وكان كل تفاصيل جميلة جداً.

وبعد ان نظرت حولها ثم امضت لحظات محاولة شد المشد الى فوق، عبست وقرصت شفتها السفلى.

«سابيليتا أنا لا استطيع ارتداء هذا الثوب، أنه يجعلني اشعر...».

«مغرية؟».

اقترحت سابيليتا بخجل واضافت:

«من اجل ارضاء المرأة في الدرجة الاولى، على الرجل ان لا يجعلها ترتدي شيء... فأنه لا يهم العروس ان تجعل عملها صعب على عريسها في ليلة زفافهم».

دارت فرنسيس حولها، حيث اشتعلت وجنتيها من ملاحظة المرأة، محاولة ايجاد شال، ولكنها وجدت سابيليتا تسرع خارجة من الخيمة لكي تفتح الطريق للرجل الغجري العظيم.

«هل لك ان لا تخرجي من خيمتي دون اذن».

قالت ذلك بحدة ثم تراجعت للخلف عندما لاحظت بأن العينان اللامعتان، شعر الرجل القاتم، والذي يرتدي بنطال ضيق ينثني في اطرافه السفلى قبل وصوله الى حذائه الجلدي، وقميص حريري ذو اكمام واسعة مرفوعة الى وسع يديه. كل هذه الصفات ترجع الى الكونت ذو الابتسامة الغامضة.

ولكن مع انها جفلت، بدا الكونت مدهوشاً وهو يقيس مظهرها بصمت، نظرته تسافر بصمت من تاج الاشقر الفضي حتى اطراف حذائها الازرق.

«يا ام السموات».

همهم ذلك في وقاحة، كانت رومانية اصيلة واضاف:

«هل لي الشجاعة لكي اغزو هكذا اغراء؟ أنك تبدين لذيذة، وأنا اشعر أنه لن يكون عدلاً مني اكايد الرجال المعتادين على سروري، واترك عروسي المستعدة لمنحي حبها».

«سوف اوفر عليك مشكلة اتخاذ قرار».

قالت ذلك بهدوء واضافت:

«أنا لن استعرض امام اصدقائك الغجر مرتدية فستان فاضح».

الفصل التاسع

«ان الصدر العاري يبدو جميلاً في عيون الغجر الصادقة... في الحقيقة، أنا الشخص الوحيد الذي يسبب تصرفه شرح مضاد، وبالنسبة الى العادة، فأنا علي ان استعمل هذا اللحن من اجل ان ابحث عن اكثر اعضاء القبيلة حكمة وعمراً واللذين هم معتادون على الاقتراب من العرسان الجدد للبحث عن ايضاحات مصممة لكي تساعدهم لتحقيق حالة من المباركة الزوجية».

«ولكن لا حاجة بك الى ذلك، بالطبع».

قالت فرنسيس ذلك بتهور وأضافت:

«لا شك ان تشعر بأنك كسبت معرفة كافية من تجربة ممتعة تماماً».

عندما مشى ناحيتها اصبح شذا الزهور مثيراً، يطوقهم في سحابة من العطر الشهواني.

«لديك الكثير لتقدميه، يا قلب الطفل».

www.elromancia.com

همهم، يتفرس في كتفيها العاريين مثل رجل جائع دعي الى وليمة فاخرة.

«ان كأس براءتك ممتلىء، وكأسي أنا قد استنزف، وعندما يكون الرجل عطش كفاية، يا عزيزتي، فأنه سوف يقبل بأي شراب».

ارتعشت فرنسيس بمتعة لذيذة، عندما سحبها الى ذراعيه وبدأ يمرر يده فوق عمودها الفقري، ثم شعرت بمتعتها وحبها الكبير عندما طبع قبلة نارية فوق كتفيها، تنهدت بأستسلام، تنحني بأقتراب وهي تدخل يدها المرتعشة في القميص الذي سقط ارضاً واظهر صدره عريض مع عضلات متداخلة تحت جلد اسمر ذهبي مثير.

«سنيور كونت، سنيورا كونتيسة».

سقط صوت سابيليتا فوق عواطف فرنسيس المشتعلة مثل دوش بارد ابعدها عن ذراعي الرجل الذي اختارها كما يختار رجل زوجة، بل كما ينقض نسر وحيد فوق اي وليف.

غير مدركة أنها كانت تتطفل، دخلت سابيليتا الخيمة مثل متطفلة، ثم توقفت فجأة، مدركة بوضوح لغيظ الكونت، ولاحساس عروسه المتضايقة. عندما وقف الكونت على قدميه لكي يدين وجودها بنظرة جليدية، تراجعت ولكن عندها، انتصبت ووبخت.

«كل شيء جاهز، ان القبيلة تنتظر بفارغ الصبر، الاحتفال لكي يبدأ».

اندفعت فرنسيس نحو مدخل الخيمة، ولكنها سحبت

بقبضة على خصرها.

«ربما تأخذ سابيليتا فوق نفسها واجبات الحريم... ومع ذلك، فأنني ارفض ان اسمح لك ان تهربي مثل عذراء مهانة في حضوري... اذهبي ان احتفال الزواج يبدأ عندما اقرر انا».

ولكن بينما خرجت سابيليتا من الخيمة، استعاد التحكم باعصابه، كانت عيناه غامضتان مثل الليل... مع شعلة تخبرها بأن النار الذي اشعلتها برضاها لم تطفأ، فقط رطبت وتركت تحترق بلا لهب ولكن بخطورة.

عندما خرج روم خارج الخيمة بينما كانت القبيلة تنتظر لتراه في الرداء التقليدي للزعيم روماني مع خاتم ذهبي ثقيل بارز يظهر فوق يده السمراء، وتعالت الهتافات تحييه بحرارة، وكذلك الفتاة الخجولة، حيث عيناها غير قادرتان على اخفاء الحب التي كانت تشعر به نحو الرجل الذي يحتضنها بقربة مثل ظله.

شابين يافعين تقدموا ليلتقوا بهم، بينما كانوا يغنون لجمال العروس وسحرها وكذلك لحبيبها السيد الكبير.

وبعصبية، ارتعشت فرنسيس، عندما انفصل الجمهور المتبسم مفسحين المجال امام صغرى بنات فلور وهي تتقدم وتحمل باقة من الزهور فوق وسادة بنفسجية، والتي رفعتها مظهرة رغبتها في وضعها مثل التاج فوق رأس العروس.

«خذي الحبل الاحمر ايضاً». امرها روم واضاف.

«ثم سلميه لي، وبذلك تدل على رضاك بزواجنا».

مباشرة قبل روم الهدية من عروسه الخجولة، وعندما سمعت فرنسيس صوت قرع طبول سريع، شعرت برجفة هلع، ولكن وكأنما شعورها بالرعب وصل اليه، قدم لها روم يديه ووضعْ يده حول كوعه، قبل ان يبدؤا، الموكب الطويل الصامت بين الغجر المهتاجين.

«ماذا سيحصل؟».

«حتى الوثنيين يجب ان يدركوا معنى الزواج الدم الغجري الاسطوري، خلال الطقوس التي تجمع الاثنين، لا تبدي وكأنك مصدومة».

ضحك من وراء انفاسه ثم اضاف.

«اعدك انك لن تشعري بالالام، ان خنجر كولفاتو حاد جداً، واعتبار لك عالي جداً».

بدأت فرنسيس تتساءل اذا كانت ضحية حلم غريب، وركزت تفكيرها حول حث قدميها ان تمشي على ممر الزهور الذي يقود الى منصة تظهر على مذبح التضحية حيث، كان كولفاتو يقف، وخنجره في يده، ينتظر مثل ديابلوس لكي يسلم روحها اللعينة الى املاكه الجهنمية.

بدون حماية ذراع روم حول كتفيها، بدون حضوره القوي وكلماته التشجيعية، لما كانت فرنسيس تحملت الطقوس المنجزة خلال احتفال الزواج القديم الذي يقدسه الرومانيس.

ليس هناك اكثر من كرسي خشبية طويلة، بينما جلست ترتعد فوق كرسيها، وتحولت عيناها الواسعتان الى خنجر كولفاتو ذو النصل الفضي اللامع والذي ارسل اشعاعات

عديدة ملونة.

كان روم يقف قرب كرسيها، مع ذراع تعزيها فوق كتفيها، عندما توقف صوت الطبل وعم الصمت بين القبيلة، المتجمعين حول المنصة مع جو مفاجيء من الخشوع.

نظرات متوحشة، كلاب تحرس الكهوف، اطفال صامتين، حتى الاحصنة اصغت الى مراسم الزواج بصمت، عندما علا صوت روم واضحاً اخبرت فرنسيس بأن المراسم قد بدأت.

«بأذنكم، يا ايها رجال الغجر وشبابهم، هذا هو رومانوس يدعوكم لكي تشهدوا زواجه من فرنسيس».

عملات، اساور، واقراط ذهبية اهتزت، واوموا اشارة الايجاب لكولفاتو لكي يستجيب بأسمهم.

«بأذنك، رومانيس، هذا كولفاتو يوافق وامام قبيلته على انجاز الشعائر الضرورية، وكذلك لكي يشهد زواجك من فرنسيس».

بخشوع، قطع قطعة خبز الى نصفين، واضعاً الملح على كل قطعة، ثم سلم واحدة للعروس واخرى للعريس، يشير الى فرنسيس ان تبدل قطعتها مع روم قبل اكلها، ثم قضمت قطعة صغيرة قبل ان يقول.

«عندما تتعبين من هذا الخبز وهذا الملح، فسوف تتعبان كلاكما».

وخلال حمام الارز الذي تبع ذلك، شعرت فرنسيس بأيدي شخص لم تراه تعلق حول رسغها الشمالي، وترفعه

حتى اصبح مساوياً لمعصم روم، لم تقاوم، ولكن ابقت عيناها الواسعتان مركزة فوق الخنجر الفضي حيث بدأ كولفاتو ينحني الى حيث ظهر عرق ازرق شاحب في معصمها.

ثم شق معصمها، حيث تفجر دمها بفرح نحو معصم روم الممزق، وبعد لحظات ربط بعصمها مع معصم روم بشرائط من الثياب، حيث يمكن ان يمتزج دم حياتهم، محولاً كيانان منفصلان الى واحد.

شعرت فرنسيس بأنها مملوكة، جسدها العذري حيث تم غزوه بدم المور المفترس، الذي استعمل عبدة شابة لكي تطفىء وحدته وتشاركه عبوديته في العزلة، حدقت في العينان الداكنتان لزوجها روماني، متساءلة اذا ما بقيا مقيدين مع بعض، يقدسون ويقبلون دماء بعضهم، افكاره كانت تسكن عند ماريا، الفتاة التي احبها بعاطفة ليسألها ان تصبح زوجته، الفتاة التي حاول هجرها، شاب يافع الى رجل بارد، مرير.

«اتمنى ان تعيشي في صحة جيدة ووفاء سعيد».

كانت مباركة كولفاتو الأخيرة قد واكبت نزع الثياب حول معصمي روم وفرنسيس، وسحبت فرنسيس يدها لكي تجعل فلور تنظفها لها.

«حضري نفسك ليوم متعب».

حذرها روم، ساحباً فرنسيس وراء احد الأشجار وقال لها.

«الاحتفالات تتشرف بضيوف خاصين، معروفين للعجز

باسم باسهف.

وبعد لحظات كان روم يراقصها ولكن فرنسيس تذكرت انه لا يحبها وقالت له وقد فاجأته.

«هل ما زلت غارقاً في حب ماريا، الى درجة انك لاتستطيع منحي سوى نوع من العلاقة والتي توجد فقط بين الطاغية والعبد؟».

لم تهتم فرنسيس ان يكذب روم عليها، وتحول مباشرة تعبير وجهه الى قناع غامض وعرفت انها تكلمت بتهور وذكّرها ببرودة.

«لقد قدمت لك اتفاقية... اتفاق حيث الحب لا يوجد ابداً. وبالنسبة لماريا فان مشاعري نحوها في غير محلها وهي مدفونة في الماضي».

«ماضي يرفض ان يذهب بعيداً».

تابعت بتهور ثم اضافت.

«ان ماريا شبح في حياتك لا يتكلم عنه احد، والقليل يراه، حيث روحها ما تزال تعيش في داخلك.. في قلبك!».

«الهي».

همس ذلك بنظرة جعلتها تخفض وجهها حيث اضاف.

«ذلك الجزء من واجب الزوجة هو ان تشبع جوع زوجها، ولكن مع ان الواجب ربما يجبرني على ان آكل على طاولتك، فسوف اقرر لنفسي اين اتناول عشائي!».

توت برّي، فطر، قريص ونباتات امتزجت جميعها وقدمت للحضور.

www.elromancia.com

سمحت فرنسيس لروم بأن يقودها الى مقعد جهزته القبيلة للزوجين، وعندما اشار روم لها ان تجلس تنفست بعمق، محاولة ان تبعد نفسها عنه، ولكنه انضم اليها مباشرة، وشعرت فرنسيس بعضلاته تلمس جسدها، وتذكرت فرنسيس كيف ان نبوءة سابيليتا قد تحققت بسرعة.

ان ذلك مكتوب في النجوم، في الرمال، وفي تحرك الكواكب... بأنك انت ورومانى راي سوف تأخذون الخبز والملح.

هل الرومانيس يملكون قوة سحرية تمكنهم ان يتنبؤا بالمستقبل؟.

«لماذا ترتعيشين؟ بالطبع انت لست باردة؟».

نظر اليها باهتمام ثم اضاف وهو عابس:

«هل تريدينني ان ابحث لك عن شال تضعيه على كتفيك».

«انا افترض ان استجيب لرغباتك اليس كذلك».

نظر اليها بتعبير غريب وقال:

«انني مولع بالنساء، احب رفقتهم، انني اعشق رؤية انوثتهم تؤكد شهوانية تصاميم ثيابهم، انني اتمتع ان اكون معجبا بهم، النساء اللواتي يثرن اهتمامي، ولكن انا لم اتوقع عبودية في المقابل. في الحقيقة، فرنسيس».

تحركت عضلة في فكه واضاف.

«افترض ان اتخاذي لك كزوجة مشابه لجعل شبل النمر اليفاً الشخص لا يتأكد من هو السيد».

في تلك اللحظة، بدا احد الأشخاص الكبار يغني وبدا صوته لفرنسيس مثل اذان الإسلام، عربي محض.

اصبح صوت الرجل الكبير عميقاً بالعاطفة، بينما رفع يديه نحو السماء، يتضرع اليها.

«ليس كل اغاني الفلامنغو مخصصة للتاريخ والسياسة... مثل حياتهم، فان موسيقى الغجر مليئة بالتناقضات...».

«لاحقاً، بعد ان ينتهي الاحتفال، ويرخي الليل ستاره، فسوف يطلب منك اظهار مواهبك، لتبرهني انه حتى فتاة انكليزية باردة قادرة على الرقص.

وكأن لديها عسل اسباني في اطراف اصابعها.

«ولكنني لا استطيع الرقص... انا لم تسنح لي اية فرصة لأجرب ذلك».

اصر بلهجة آمرة.

«ان اطفال الغجر يتعلمون العديد من القواعد الاساسية، ثم يترك الباقي لقدرة الطبيعة».

تناول الغجر طعامهم الغريب، وكان روم وفرنسيس يراقبون رقصة عرس المجار يحققه ستة ازواج من الشباب.

راقبت فرنسيس ذلك وهي تلهث، مصعوقة من الجمال المتوحش لهذه الرقصة. ثم خفت الموسيقى تدريجياً حيث قال روم لها.

«لقد انتهى الاحتفال بالنسبة لنا».

قال روم فقط، يا عزيزتي، وحاولي ان تظهري سعيدة كالعروس».

www.elromancia.com

لم تحرك كلماته مشاعرها الخائفة، وبعد لحظات وجدت نفسها وقد اجبرت ان تنضم الى روم في الحلبة حيث وقفت على اقدام حديدية، لكن روم رفض ان يتحرك. ولكنه بدأ يلامسها ببطء.

وجعل سحر لمسته لفرنسيس تصدر تنهيدة استسلام، مبعدة عن عقلها وجود الآخرين. وشعرت انها محاطة بالنيران، مأسورة بين ذراعي روماني.

وعندما زادت قبضة بسرعة حاولت ان تبتعد، ولكن عندها، وكأن عفاريت السحر قد استدعيت لمساعدته، حيث بدأت آلة الكمان تلعب موسيقى ساحرة. بدائية ذات اغراء مثير. غريزياً استجابت فرنسيس لتوجيهاته، تتمايل عندما يتمايل، وتواكب خطواته.

ربما كان ذلك التأثير السحري لمنتصف الليل، او لمعان النجوم في عينيها.

«عندما تقررين ان تعطي شيئاً، اعطيه بسخاء، يا عروسي».

نظر بثبات في عينيها ثم اضاف.

«معك لا يوجد مسافة بين العاطفة والصبر، لابد انه ذات طبيعة طيبة مثلك الشخص الذي وضع الاعتقاد الغجري الذي يقول: ان اله الأرض والسموات هو الهنا ايضاً».

اوقفها روم على قدميها وبدأ يحملها بنصر على طول ممر القدر. حيث كانت تصدر من الغجر مباركات مقدسة حتى اختفى عنهم.

عندما وضعها ارضاً فوق وسائد حريرية منتشرة فوق نباتات برية مختلفة، تحول وجه فرنسيس الشاحب الى الخجل، وطافت بنظرها حول جدران الخيمة حيث اكوام من هدايا العرس... سلال، اكياس وسائد حريرية، تنانير مكشكشة واشياء غيرها بسيطة.

«كم تبدين جميلة، يا زهرة الأقحوان، مع ان عيناك تعكسان اكليل الزهور».

قال روم ذلك بتعجرف، وعاطفة غامضة... متوحشة.

نسيت دوامة الخجل، واصرارها على حماية احترامها لنفسها، قدمت فرنسيس شفتيها لكي تنطحن، كما بتلات الزهور تماماً، حيث خيمة الزواج تفيض برائحة البخور، والتي هي المفضلة لأفروديت الهة الحب والجمال.

تنفس روم، وهو يبتسم لها وكأنها رسول ارسل من السماء، ثم تلاشت ابتسامته فجأة كما ظهرت حيث قال.

«يا للحزن الكبير بأن والدك لم يكن لديه الوقت ليدرب شخصاً يتبعه في خطاه».

«ولكن فعل ذلك!».

توهجت فرنسيس، وهي سعيدة لذلك، وهي ربما تسعد الكونت بأن توفر له استمرارية توالد النسور واضافت تقول له.

«لقد دونت كل ملاحظات والدي، مراقبة البيض. ومساعدة البيض في تربيته. انني اكيدة انني استطيع ان افعل ذلك ثانية. روم... اذا ما سمحت لي ان احاول».

تردد لبضع لحظات، تتقاذفه غريزة ان يجعلها تحاول

www.elromancia.com

وخوفه على الطيور من الحزن والموت. ولكن عندها، وكأن عيناها الواسعتان، وكلامها المشجع، قد احدثت التوازن لديه، اكد لها موافقته بسؤال بسيط.

«ما هي المعدات التي سوف تحتاجين لها؟».

«سلم طويل لكي اتمكن من الوصول الى العش. وكمية كافية من القطن لكن نتمكن من نقل البيض بأمان الى حضانته، ان لدي واحدة هنا!».

وبفرح بدأت تبحث عنها ثم اضافت.

«هذه سوف تحافظ على حرارة البيض حتى اتدبر واحدة مناسبة من القصر».

«لابد ان القدر قد استفزني لكي اقود عربة نقل بدلاً من سيارتي».

تركها الكونت ليبحث عن المعدات التي طلبتها، بينما تابعت فرنسيس دراسة حركات النسور، وهي تصلي ان تكون هذه الطيور تبني اعشاشها في اماكن منخفضة لكي تتمكن من الوصول اليها. وتبعت ذكر النسر عندما فجأة حط فوق قمة احدى الأشجار وبدأ يرفرف بجناحيه. كان ملك الطيور، يمتلك حضور عجيب ويشاركه في ذلك الكونت زوجها.

الفصل العاشر

«أنك ما زلت تحيرينني يا عزيزتي... ان آخر خاصية يمكن ان يجدها الرجل في المرأة هو الشجاعة».

في تلك اللحظة، احست فرنسيس بأنها تقترب روحياً من الرجل.

«روم... علينا ان نضع البيض في حضانة البيض في غضون نصف ساعة، على الاكثر».

وبعد عشرة دقائق كانت تجلس في سيارة والتي كانت تقودهم الى القصر.

«هل أنت اكيدة أنك سوف تجدين كل شيء في القصر؟».

سألها روم ذلك وهو ينظر اليها نظرة احترام اعطتها ثقة بنفسها.

«ان والدي كان يستعمل غالباً ادوات المطبخ، وكان يستعمل المعاطف من اجل تأمين الحرارة اللازمة للبيض.

www.elromancia.com

اولاً، علينا ان نقيس ونزين البيض، وبعد ذلك وخلال الاسابيع التالية التي سوف ننتظر بها البيض. فأنا علي ان ابقى بجانبهم حوالي اثنتا عشرة ساعة في اليوم، حتى النوم قريباً منهم في الليل، حيث يمكنني ان اقيس درجة حرارتهم».

«يبدو أنك مستعدة لخسارة حوالي الشهر من اجل البيض».

قال ذلك بلهجة مهتمة ثم اضاف:

«هل أنت اكيدة من ذلك، أنا سوف اشاركك مراقبتك البيض عندما استطيع، بالطبع ان نجاح التجربة تعني لي الكثير جداً».

عبس قليلاً ثم اضاف:

«ولكن ليس الى درجة أني مستعد الى المخاطرة بصحتك».

«أنا لن اجعل نفسي منهكة القوى... لا شك ان الاسابيع المقبلة سوف تكون متعبة، ولكن النتيجة سوف تكون رائعة، بأذن الله».

تنهدت وهي تصلي وتضيف:

«عندما نرى الطيور الصغيرة فسوف ننسى التعب بالتأكيد».

وشعرت فرنسيس وهم يدخلون بوابة القصر بأفكار روم تسرح بعيداً، ربما الى ليلة زفافهم حيث سمعته يقول بعد حين:

«لقد تعلمت ان لا احس ابداً بتأثير الجبان، حيث قوته

تكمن في ضعفهم، والتي يمكن ان تجرح ضمير الرجل حتى من دون مخالب!».

كان احدى الشبابيك مسيج بحديد مصقول، ومفتوح لهواء النهار الذي جعل غرفة فرنسيس اكثر راحة، وكانت فرنسيس قد قضت اسابيعها وهي تسهر على راحة البيض.

ولكن وبغريزة الانثى، والتي كانت تعرف موعد الولادة، شعرت بأنها سوف تتم الليلة، حيث رفعت الاغطية بنعومة، وكانت ترتدي روباً من القطن الابيض.

«اذهبي الى السرير، جوزي».

قالت فرنسيس ذلك وهي تبتسم واضافت:

«هل هناك اية اشارة للحياة... اية اشارة لضربات ما؟».

«لا شيء، كونتيسه».

وقفت على قدميها، كل شخص يعرف مدى المشقة التي تحملها الكونتيسة من اجل هذه الطيور وقالت:

«هل أنت متأكدة بأن الكونت لن يمانع اذا ما ذهبت؟ لقد كان مصراً للغاية».

«لا تقلقي... أنا سوف اتحمل المسؤولية عن غيابك».

سحبت فرنسيس كرسي بعد اغلاق الباب وجلست قرب حاضنة البيض وذقنها ترتاح فوق يدها، وهي تأمل اية اشارة من البيض، وراقبت بصبر البيض وهي تتذكر زوجها، وشعرت بعواطفها تثور عندما تتذكره، نعم لقد بدأت تميل نحوه.

فجأة اصبحت متيقظة لصوت يصدر من داخل البيض،

www.elromancia.com

حركت فرنسيس البيض من الالواح الحديدية للحاضنة ووضعتها بنعومة في طاسة مغطاة بقماش ناعم. ومثل صوت من الماضي، تذكرت فرنسيس صوت والدها، يحثها على مواصلة عملها.

وبعد تنهيدة، انحنت فرنسيس قريباً من البيض وحاولت مساعدة الطيور وكأنها والدتهم.

كرررب، كرررب، هيا اظهروا... هيا.

وفي اللحظة المقبلة، فقست بيضه قبل الاخرى، وظهر طير صغير، مبلل بمادة من الماء وهو يصرخ وتبعته بعد قليل البيضة التالية ثم الاخرى، سمعت فرنسيس صوت الخدم داخل القصر ونظرت، ورائها فرأت روم حيث قالت له:

«مجموعة من ثلاثة طيور لعائلة اكويلا».

«شكراً جزيلاً لك، يا عزيزي».

تنفس روم، بينما ابقى نظره عليها وهو يسحبها باتجاهه، وكان قد طبع قبلة امتنان على وجنتيها عندما فتحت جوزي الباب، والتي يبدو أنها عادت لكي تساعد فرنسيس في العناية بالصغار.

وبعد قليل امتلأت الغرفة بالخدم الذي اثارهم منظر الطيور.

«الى الخارج كلكم، الى الخارج».

صرخ روم بالخدم ان يذهبوا الى المطبخ ثم قال:

«ابحثوا عن الخمرة، يجب ان نشرب كلنا نخب القادمين الجدد».

انسلت فرنسيس الى الغرفة حيث الطيور ووجدت جوزي تحضر لهم وجبتهم الاولى.

«اذا سمحت لي كونتيسة، يجب ان تسمحي لي ان اهتم بالباقي ارجوك».

«حسناً، جوزي».

مات الاعتراض على شفاه فرنسيس عندما خطى روم الى داخل الغرفة وهو يحمل كأس شمبانيا.

«اشربي هذا وعندما تنتهين منه يجب ان تعودي الى غرفتك لكي ترتاحي، وفي هذا الوقت».

قال كلماته بصوت منخفض.

«فسوف اتأكد من أنك سوف تبقين هناك».

اثارتها نظرته الجليدية، حيث اجبرت نفسها على شرب السائل الذهبي اللون وبعد قليل امسكها روم من يدها وجرها الى غرفة نومها.

سرت فرنسيس داخلياً لأهتمام روم بها... حيث كانت عاطفته في الليالي تمزج بالدم الغجري والمور في عروقه.

كان من الجيد ان تشعر بالراحة، وقررت عندما وضعها على السرير بنعومة، بأن اصبحت اكثر سعادة لأنها قامت بما يسعده وسمعته يقول:

«ان عيناك تذكرني بأعماق الجبال الرمادية».

بدا صوت روم غريباً وهو مفعم بالعاطفة.

«ان الاسطورة قد وهبت هذا القصر غموض خاص في الاعماق، تقول الاسطورة ان القصر بناه احد ملوك المور، حيث حزنت فتاة عبدة جميلة على هجر السيد، وهذا

الحزن قادها الى ان تحبط عزائم اي رجل يحاول الاقتراب منها، حيث كانت تبدو لهم في شكل طير خجول، ولقد شعرت أنني كاحدى ضحايا هذا الطير الخجول، يا عزيزتي».

كانت كلماته الهامسة تبدو منخفضة جداً.

«روم».

همهمت فرنسيس، وهي تشعر بنفسها تنحرف الى هوة سوداء، شعرت بأنها قد نسيت شيئاً مهماً كانت تريد اطلاعه عليه.

«نعم، يا عزيزتي...».

وشعرت به يقربها من قلبه. وبعد ذهابه غفت واستيقظت بعد ان نامت حوالي ثمانية ساعات، واستلقت تنظر حول الغرفة والتي ما زالت باردة ومظلمة من جراء درف النوافذ، وتذكرت محادثتها مع روم قبل ان تغفو.

ودخل نور الى الغرفة، يعلن دخول سابيليتا وهي تحمل صينية طعام، بيض مسلوق، توست، وكوب طويل تنبعث منه رائحة القهوة الزكية.

«آه، وأخيراً استيقظت... أنه وقت الغداء تقريباً، وفكرت أنك ربما تحبين تناول الطعام في غرفتك؟».

اومأت فرنسيس، وهي تجلس في سريرها وقالت فجأة:

«آه».

جعلت صرختها سابيليتا تنظر اليها حيث تركت فرنسيس السرير وتبعتها سابيليتا وقالت لها:

«لا تقلقي، سوف يعبر ضعفك بسهولة... آه، الفرحة

سأشعر بها عندما اضم الطفل بين ذراعي!».

«لا، سابيليتا».

ورغماً عن ضعفها، قالت فرنسيس بصوت قوي:

«لا يجب عليك ان تخبري احداً... ليس بعد».

«ولكن الكونت سوف يصر على نشر الاخبار!».

«ليس عليه ان يعرف حتى».

صدمت فرنسيس المرأة العجوز، التي تعتبر ان كل زوج له الحق ان يتم اخباره بأن زوجته تتوقع طفلاً... وخاصة الكونت!.

غرق قلب فرنسيس عندما ضاق فم سابيليتا بغضب، ان السبب الذي جعل الكونت يسألها ان تصبح زوجته اصبح واضحاً الآن، أنه يحتاج الى ابن، ولكن ليس له اية ارادة في ان يتورط عاطفياً مع ام ولده. كان رجلاً يستطيع ان يحب امرأة واحدة في حياته... رجل كان قد وهب قلبه الى امرأة، حطمته فيما بعد، والذي قرر بعد ذلك ان يبقى ولبقية حياته بدون قلب...

شعرت فرنسيس بالدموع تتجمع في عينيها، ثم استدارت وهي تأمل ان تخفي بؤسها، ولكنها لاحظت بأن المرأة قد فهمت دموعها عندما قالت:

«أنك تعتقدين بأن رجلك لا يريدك، وأنه واقع في حب اخرى... ذلك لا يجب ان يكون، ثقي بي، يا طفلتي، وكما برهنت ايزبيلا الشابة ذات يوم بأنه ما زال هناك آمل باجتذاب القمر».

«لا سابيليتا، لا يجب ان تحاولي مزج اي من تعويذاتك

www.elromancia.com

في شارب الكونت. . . أنني امنعك تماماً».

«حسناً، بوري راني».

بدا ان كلام سابيليتا غير صادق، كانت تعابيرها غامضة وخاصة عندما ذكرتها قائلة:

«هل نسيت ان اليوم هو اليوم الذي وافقت على مصاحبة السنيوريتا بيرالتا وضيوفها الى الحلبة؟ ان مصارعة الثيران المسائية تعتبر مناسبة خاصة جداً».

وبدأت سابيليتا تشرح لفرنسيس اختلاف المصارعة المسائية عن المصارعة النهارية من حيث الوقت وعدد الثيران، وبعد قليل اختفت فرنسيس في الحمام، وهي تغلق الباب خلفها.

ولكن بعد حوالي الساعة، وبعد حمام منعش وراحة مترفة، وارتفعت معنوياتها، وبدا ان الكونت الفخور لم يظهر أنه لاحظ التغير في جسد زوجته، تنهدت فرنسيس، وهي تصل الى ثوب ابيض.

كانت تقف امام المرآة، ترتدي ثيابها عندما ارعبتها دقة على الباب حيث قالت:

«ان سابيليتا قد احضرت هذه الاثواب».

خطى روم داخل الغرفة وهو يضيف:

«أنني ادين لك بأعتذار، يا عزيزتي، أنه ليس من الضروري لخادمة ان ترشدني الى حاجات زوجتي، قريباً. . . سوف نطير الى قرطبة. . . او سيفيل، حيث أنها المدينة المفضلة لماريا عندما تريد ان تتسوق، اعتقد ان اشارة سابيليتا الى قلة الثياب لديك قد فاجأتني».

عبس وهو ينظر اليها، غير مدرك لرعشتها عندما اضاف:

«لا لم يبدو ابداً أنك تحبين الاهتمام بمظهرك».

«اعتقد أنني افضل ان اختار شيء لأرتديه من العصور القديمة».

نظر اليها نظرة معبرة وقال:

«كل الفتيات الاسبانيات ترتدي التنانير الطويلة لاسبانيا القديمة في الحفلات حتى الرجال فهم يدخلون روح الاشياء بارتدائهم قبعات قرطبة، جاكيتات ضيقة وحذاء جلد عالي اذا كانوا يريدون قيادة الجياد».

بدا أنه يريد ان يكون لطيفاً عندما قال:

«ما الخطب، فرنسيس؟».

حثها بنعومة، ثم حرك يديه باتجاهها وقال:

«اذا كنت لا تشعرين بالرغبة في الذهاب، فبأستطاعتنا الغاء ذلك».

«ولماذا ستقول ماريا عن ذلك؟ تزدري آراء الكونتيسة الانكليزية».

سارت فرنسيس نحو النافذة ووقفت هناك، وبغضب اكد الكونت شكها بأنه كان من الخطأ منها ان تذكره بالفتاة التي سببت له النزف وقال بجدية:

«ان اي رجل سوف يكون غبياً بأن يعلن طاعته لأفكار وسيطرة امرأة، ولكن ليس أنا. . . ان المرأة مثل ظلك، اتبعيها وهي تطير، طيري منها وهي تتبعك».

استدارت بعيداً عنه وقالت:

«أنت وماريا مثاليين لبعضكم. . . أنا لا افهم لماذا

www.elromancia.com

قررت ان تتزوجني».

«ربما تأثرت بتقليد الغجر القدماء الذين يقولون في شراء الاحصنة واتخاذ الزوجة، اغلق عينيك وثق في الله... ولكن يبدو ان ثقتي في غير موضعها للأسف».

خطى نحو احدى الكراسي، وجلس واشار في اتجاه الاثواب المرمية على السرير.

«ان الوقت يسرع، اختاري اذا سمحت، وأنا سوف انتظر هنا».

ليس هناك من حاجة... وبمساعدة سابيليتا فأنا متأكدة أنني سوف اجد شيئاً مناسباً».

«أنني ارغب في ان ارى مظهرك قبل ان اقدمك الى اصدقاء يرغبون في التعرف الى زوجتي الجديدة. ارتدي اي شيء الا الابيض...».

نظر اليها مذكراً ثم اضاف:

«حاولي اللون الزهر، ليناسب اللون الخجول هو نادر في وجنتيك، او الازرق وكما لاحظت وأنت تدرسين اللوحات في سائر ارجاء القصر، ان اسلافي اظهروا تفضيل لزوجاتهم والذين كانوا عاطفيين جسدياً، والذين عرفوا كيف يثيروا اهتمام ازواجهم، وربما تفعلين جيداً بأن تتبعي مثال اسلافك، فرنسيس».

اشار الى وجنتيها المشتعلتين استدارت فرنسيس جانباً، مصممة على تجاهل التحدي الذي لم تفهمه والتي شعرت أنه مؤذي، وبدأت تجرب الاثواب واحداً تلو الآخر والذين ارتدتهم نساء القرون الماضية لتقدم المتعة الى رجال

احبوهم، وبدا شذا اشجار الليمون وكأنه يطوق انفها، ورفعت ثوب اخضر قطني وقالت:

«أنني احب هذا!».

استدارت وهي تحمل الثوب بين يديها، مستعدة للدفاع عن خيارها، تعرف أنه بسيط، يناسب شخصيتها.

«بطريقة ما، اعتقدت أنك تعارض».

«حسناً».

اومأ، وهو يرتفع عن كرسيه وقال:

«ضعيه عليك بينما اذهب أنا واغير ملابسي، ولكن كوني سريعة، لقد اضعنا وقتاً كافياً، اتوقع منك ان تكوني جاهزة في غضون عشرة دقائق».

فتح الباب وكان على اهبة الخروج خارج العتبة عندما ظهرت سابيليتا وهي تحمل صينية عليها كؤوس وابريق كبير من الليموناضة وقالت وهي تصر:

«قبل ان تغادر، يجب ان تجرب بعضاً من هذا، روم بورو... لقد صنعته خصيصاً لك».

وضعت الصينية على طاولة قريبة، وصبت قليلاً من الشراب، تردد روم، ثم قرر أنه من الافضل ان يشرب السائل بدلاً من ان يجادل، حيث قبل الشراب بهزة من كتفيه.

رفع الكأس الى شفتيه، عندما نظرت فرنسيس في سابيليتا ولاحظت بشعور مفاجيء من الصدمة بأن الغجرية العجوز كانت تتفرس بدقة قبل ان تتدبر اغراء روم لكي يقبل الشراب... شراب ربما يحتوي على نباتات وعصير

www.elromancia.com

ازهار يمكن ان يحول رجل عادي الى رجل عاشق.

«لا، روم... لا تفعل».

تردد روم، وقد تفاجىء بصرختها وينقل ببصره منها الى وجه سابيليتا ذو التعبير الغامض، ثم رأت ابتسامة غامضة ترتسم على شفتيه قبل ان يرجع رأسه ويجرع سائل الكأس.

طار روم بالهليكوبتر الى اراضي مارك دي كويسادا، وبدأت الطائرة تلامس الارض، حيث شاهدوا سيارة تقترب منهم. وظهر الخادم الذي ركض نحوهم وهو يعتذر:

«الآلاف الاعتذارات، سنيور كونت سنيورا كونتيسة... لغياب مضيفكم فقد اضطر للتغيب، على كل حال، فأن المباراة لا يمكن ان تبدأ قبل وصوله... وبالنسبة للاندلسيين، فأن المصارعة لا تعتبر فقط متعة وتسلية بل أنها حمى في الدم كل المصارعين ذو الشأن يأتون من الاندلس».

هنا تدخل روم قائلاً للخادم:

«لا داعي للأعتذار، ان الخطأ هو خطأنا لوصولنا متأخرين، حيث أنك كنت لطيفاً لتقود بنا السيارة».

حدق روم باتجاه السيارة واضاف:

«أنني والكونتيسة نرغب في ان ننضم الى مضيفنا بدون تأخير».

وبينما كانوا يجلسون بعد لحظات في السيارة التي كانت تقطع ممتلكات مضيفهم قال روم:

«بطريقة ما، فانه من السيء ان يكون انطباعك الاول

عن المصارعة يفتقد الى كل البهاء والترف المرتبط بكل الحلبات الرئيسية، حيث يجلس رئيس البلدية، وتجدين مئات المراوح، حيث تجدين المحارم وهي ترمي عبارة عن انتهاء كل جولة».

بدت فرنسيس مذهولة مثل طفل في فستانها البسيط ذو الازهار العريضة.

«أنك تتكلم وكأننا ننوي حضور اوبرا».

جعلتها نظراته القاسية تحمر خجلاً. وبسرعة ادارت وجهها بعيداً فضحت عيناها سرها وهو أنها بدأت تحبه وربما تحمل طفله. في حال قد حدث ذلك عندما تعانق دمه مع دمها. بسبب احدى الليالي السحرية جعلها تشعر بأنها الشخص الوحيد في العالم، ولكنها تأكدت بأنها اصبحت تشعر بضربات قلب ابنه، يضرب متناغماً مع قلبها فلقد اصبحت زوجة غيورة محبة جداً.

«ان المقارنة هي كفؤة، ان قتل الثور هي درام ذات ثلاثة افعال، العمل الاول هو الزيل، اما العمل الثاني فهو الحكم والعمل الاخير هو القتل حيث يستعمل المصارع ردائه وسيفه اخيراً ليؤكد على سيطرته».

ركزت فرنسيس نظرها الى امام وعندما ترجلت اخيراً من السيارة الى حيث الرمال حيث بوابة خشبية مفتوحة ترحب بهم.

«روم، واخيراً، يا عزيزي قد وصلت».

كانت ماريا ترتدي ثوب ذو ياقة من الدانتيل الناعم، وقرنفلة بيضاء ركزتها وراء احدى اذنيها، حيث تقدمت

www.elromancia.com

منهم لترحب بهم. ورمت فرنسيس بنظرة مزدرية، حيث اشارت لهم الى مقعدين وسمعت فرنسيس اصوات الجماهير وهي تنتظر بدء المباراة.

ومات صوت دخول روم وهو يسير فوق الرمال، حيث توقف الحيوان، حيث كان يركز نظره فوق الرداء الاحمر الذي يجعل دمه يثور حيث بدأ يحفر بقدميه الارض.

احست فرنسيس بلمسة روم فوق يدها بينما كانت تحدق بمزيج من الخوف والاعجاب الى الحيوان الاسود الرائع الذي بدأ يركض ورأسه منخفض، عضلات حديدية تثور، وعندما ركض الثور سمعت فرنسيس شخص ما يقول امامها:

«أنه وحش رائع، اليس كذلك كونتيسة».

بحثت فرنسيس بعينيها بعيداً عن المباراة عن صاحبة الصوت الانوثي وارتسمت نظرتها بالرعب عندما التقت عيناها بنظرة ماريا اللامعة، غير معروفة لنفسها، لقد قامت هي وروم بتغيير اماكنهم، ربما لجعل الامور اسهل عليه لكي يتبادل الحديث مع احد الرجال الذي جلس على يساره والتي عرفت أنه ماريك دي كويسيرا مثلي تابعت ماريا لكي تؤكد كلامها:

«ان روم هو نتاج ارض صلبة، قاسية، وهو نتاج شعب يشعر غالباً بالكوارث والذي يقاوم حتى الموت بدلاً من أن يعانوا من رؤية كبريائهم ملطخ بالعار».

نظرت اليها فرنسيس ثم قالت:

«أنه لمن المؤسف أنك تظهرين وكأنك تعتبرين روم من

ممتلكاتك الشخصية، وبأنك لا تستطعين الزواج منه في ذلك الوقت الذي كان يحبك فيه».

«لماذا تتكلمين في صيغة الماضي؟».

كانت ثقة ماريا بنفسها كبيرة، كان طقس النهار مثيراً، ولم يكن لدى فرنسيس الاسلحة لمحاربة الفتاة التي ترتدي مثل ملكة اسبانية.

وعندما استرعى انتباهها صوت تصفيق الجماهير، رأت فرسان يأخذون الثور الى حلقة داخل الحلبة. حيث رفع المصارع سيفه من الستيل الخالص الى خصر الثور، ثم قام بقتله.

في تلك اللحظة، بدأ الجمهور يصرخ، وسمعت فرنسيس ماريا تصرخ قائلة:

«ما الخطب؟ هل تشعرين بالشحوب؟».

اومأت فرنسيس عندما اضافت ماريا:

«لا تتجرأي على الشحوب... ان روم لن يسامح هكذا تصرف، حاولي ان تتماسكي بينما اجد، احدى الاعذار للآخرين لأختفاءك الطارىء».

لم يكن لدى فرنسيس اية فكرة عن كذبة ماريا. ومرت احداث اللحظات التالية بسرعة، وهدأت فرنسيس عندما جلست في سيارة ماريا حيث سارت ماريا معها في السيارة. وبعد ان سارت لمسافة قصيرة، اوقفت ماريا السيارة لم تشعر فرنسيس بالخطر، ولكن تساءلت هل يمكن ان تقوم ماريا بايقاف السيارة عن عمد، وسمعت ماريا تقول لها بعد قليل:

«اخرجي».

حدقت ماريا في فرنسيس بنظرة قاتلة وهي تضيف:

«ان روم يحبني».

شعرت فرنسيس بخدش الاظافر بينما كانت تخرج من السيارة ووجدت نفسها تقول:

«وأنا احبه كثيراً جداً، لكي اسمح لأي امرأة بأن تحمل طفله!».

تراجعت فرنسيس نحو البوابة عندما شعرت بنظرة ماريا الحقودة، وبضحكة شيطانية، تقدمت ماريا لكي تدفعها داخل الحظيرة قبل ان تقفل البوابة وتدير المفتاح فيها.

«ان المعتدين يجب ان يحظوا بعناية اكبر».

سمعتها تعود الى السيارة وهي تقول بفرح.

«اذا نظرت الى يمينك، كونتيسة...».

قالت ماريا ذلك من فوق صوت المحرك ثم اضافت:

«فسوف ترين ملاحظة مكتوب عليها احذري من الثور».

لا يمكن ان يكون ذلك صحيحاً، اكدت فرنسيس لنفسها، تضغط بجسدها على البوابة وهي ترفع قدميها عندما التقت بحد احد الاسوار مبنى على علو! وكافي لحماية الاشخاص من الثيران، كانت فرنسيس تختبر كابوس وهي تأمل ان تصحو منه قريباً، كابوس... حقيقي.

لا بد ان ماريا قد اصبحت مجنونة، ثم سمعت فرنسيس بعد لحظات صوت محرك سيارة ينطفىء، لا بد ان ماريا قد رجعت، وقفت فرنسيس وكأنها مجلدة، تحدق في

الفتحة حتى رأت شخص يقترب، ويتخذ احد الاشكال.

بدأت صورة الشخص تتوضح اكثر، شخص داكن، ذو جسد ممشوق نظرات خارقة، نعم أنه حبيبها روم بورو.

انتظرت فرنسيس حتى سمعته يقول:

«فرنسيس، لا تفعلي، ابقي هادئة».

اطاعت فرنسيس اوامره، وهي شاحبة مثل الاموات.

حاولت فرنسيس بعد مرور ساعات ان تفتح عيناها، نعم، أنها في مكان ما تنهدت بأمتنان لعودتها الى البيت، وهي محاطة بأشياء تحبها اشياء مألوفة.

الضجة حل محلها السكون، وتبينت فرنسيس ملامح رجل يقف وظهره مواجهاً لها، ورأسه منحني وكأنه غارق في افكاره، وعندما اقترب اكثر رأت فرنسيس انه روم، يبدو مختلفا... مجهدا شاحبا، اصفر الوجه.

«كيف تشعرين الآن يا عزيزتي؟».

بدا صوته ايضاً مختلفاً، وكذلك حركاته، يفتقد لحيويته عندما ظهر الى الضوء وهو يقترب من السرير.

«حسناً...».

اجابته وهي تشعر بدموعها تقترب من السقوط عندما فكرت بمظهره واضافت:

«ماذا حصل؟».

عبست، محاولة ان تتذكر بعض الرعب الذي حل بها واضافت:

«أوه، الآن تذكرت! بدأت اشعر بأنني لست بخير... لقد عرضت علي ماريا ان تقلني الى البيت...».

تذكرت فرنسيس رعبها ثم اضافت:

«روم».

عدلت فرنسيس في جلستها وهي تضيف:

«لقد حاولت ماريا ان تقتلني».

وبنعومة ارجعها روماني الى الوسائد وقال بجدية:

«حاولي ان لا تحكمي عليها بقسوة، يا عزيزتي».

وقع قلبها مثل حجر. هل هو واقع في حب ماريا الى آخر درجة الى حد تبريره لتصرف ماريا؟ اغلقت عينيها لكي تخفي الدموع واستلقت عندما سمعته يوضح:

«ان تقلب ماريا العاطفي مرتبط بها، طبيعياً لقد ساعدت بكل الطرق الممكنه لكي اشفيها. كل ذلك كان ضروري، ثم عندما اصبحت في الثامنة عشرة...».

تردد ثم اضاف:

«لقد بدأت نتخيل بأنها واقعة في حبي...».

تنهدت فرنسيس بارتياح عندما سمعته يضيف:

«لقد سألني والدها الاذن... الذي كان جاهزاً... ان اكون جيداً معها».

رفعت فرنسيس رموشها لترى الالم ينعكس في عينيه.

«لن يسمح لماريا بالحرية ثانية. لا استطيع ان اتخيل ما الذي سبب التهور لعقلها، ولكنني اعدك، فرنسيس... بأنها لن تكون مستقبلاً في اية وضع يسمح لها بالتعرض لسلامتك».

شعرت بحافز لتخبره بأنها تحمل طفله، اذا كانت هذه اللحظة المناسبة فعليها ان تفعل ذلك.

«أنا لا اتذكر اي شيء عن كيفية انقاذي، ولكنني اكيلة بأنك أنت انقذت حياتي، شكراً لك، روم».

ابتسمت بخجل ثم اضافت:

«أنني ممتنة كثيراً».

كانت مضطربة من نظرته الغاضبة وسمعته يقول:

«هل يستحق الرجل الشكر لأنقاذه حياته... لقد كان دافعي انانياً تماماً، كل ما اردته هو ان انعم بنعومة حضورك، خجول من كرم قلبك الذي يترجم الحب كم يقدمه! أنا لم اعرف بالضبط متى امتلكت روحك الرقيقة قلبي، يا حبيبتي».

همهم بفرح مضيفاً:

«كل ما اعرفه هو ذلك، لو لم يكن هاجس الخطر هو الذي حثني على ان اتبع ببطء سيارة ماريا، ولو أنني لم اصل في الوقت لكي اجذب نظر الثور، لقد ارادت ان اطرح جسدي على قرنيه القاتلتين! أنا احبك، يا حياتي، يا معشوقتي الصغيرة».

رفعها عن الوسائد لكي يقربها الى ذراعيه واضاف:

«عديني أنك سوف تبقين، اعطيني فرصة اخرى لكي اثبت أنني استحقك بحق».

وبعد وقت غير قليل، عندما سمح لها ان تنزل وترتاح بين ذراعيه الحبيبتين تجرأت فرنسيس على ان تلمس صدره بحب دون خجل كبير وقالت بحب:

«لقد انتابني القلق في حالة اصابتك بالمرض هل تلاحظ بأن الليموناضة التي اغرتك سابيليتا على شربها

www.elromancia.com

ربما تحتوي على بعض اعشابها السحرية التي تجمعها لكي تقوم بصنع تعويذاتها الشافية؟».

شعرت فرنسيس به يتحرك، وهو يبتسم بكل حب لها وقال:

«وماذا لو كان الشراب هو تعويذة حب؟».

قال وهو يحدق بوجهها العذب بجوع الغجري العاطفي.

«ان سابيليتا لن تسمع اية شكوى مني، يا عزيزتي، لأنني كما اعتقد وبشكل كبير، بأن هذه التعويذة قد نجحت تماماً».

«نعم، اجل..».

«بالتأكيد يا حبي ان الحب وحده هو الذي قادني اليك، وقادك الي اجل وطوقنا بشذاه الوردي الجميل لمدى الحياة».

«اجل... لمدى الحياة».

www.elromancia.com